

كلمة العدد :

واو على زمن الواو ..

بقلم : جمال الشراي

لن تعرف الثقافة المقروءة صعوبات أكثر من الصعوبات التي تلاقيها في هذا الزمن والتي قد تشل حركتها وتعيق تطورها. فبعد ثقافة الصور الخلية وحظك اليوم والبحث عن النصف الآخر والصفحات التي تزدحم بعناوين العرافين والمنجمين ظهر رهط آخر من القراء يصعب التواصل معهم عبر القراءة والكتابة. لذلك تجد المنشورات الثقافية صعبة في انتقاء المادة التي ستقدمها لهذا القارئ وتنجم هذه الصعوبة أولا وبالذات عن لبس في معرفة هويته حيث لم تعد لا ملامحه واضحة ولا أيضا متطلباته بعد أن أدمن الجميع فضائيات الواو وشبكات الشاط وضاعت بالتالي حتى اللغة التي يمكن غيرها التواصل مع هذا القارئ ، لتطغى لغة هجينة أسست لها عوامل رقمية كثيرة من أهمها الهاتف الرقمي وشبكات الأنترنت وبحكم محدودية ثقافة مستعملي هذه الرقميات فقد ظهرت هذه اللغة المتعددة الجنسيات والتي هي ليست بالعربية ولا هي بالفرنسية ولا هي بالإنجليزية بل أنها لغة تكتب بكل ما أتيح من

حروف ورموز وأرقام لتهدد بشكل جدي اللغات الأصلية وتضررها في كيانها دون اعتبار لها مهما كانت حصانتها وأصالتها ومهددة في الوقت ذاته ثقافة الشعوب وهواياتها وهي نتائج ستعكس قبل ذلك على الوسائل الثقافية التي لم تعد قادرة على شد اهتمام القارئ واستمالة بحكم تدهور لغة الحوار بينهما فما الذي إذن في مستطاع الإتحاف كمحلة ثقافية أن تفعله لتظل محافظة على قرائها.

لقد كانت مسيرة الإتحاف طيلة عقدين من الزمن محفوفة بالتحديات لكنها ظلت صامدة واستمرت محافظة على ثوابتها التي تأسست من أجلها. خلال عقدين من الزمن كان التطور شعارا دائما للإتحاف وهو تطور ضروري لملاءمة العصر ومسايرته لكن أن يكون هذا العصر عصر الواو وعصر الشفاه الغليظة والسيليكون فإن الإتحاف ستكون متجاوزة له أو بالتحديد متقاطعة معه إلى أن يستعيد الوعي الثقافي وعيه ويستعيد الذوق الجماعي رفعتة وهو ما لن تحيد عنه بلادنا ولنا في ذلك مثل نذكره وهو الإستشارة الوطنية حول الموسيقى التي أذن بها رئيس الدولة وجاءت لتقيم درعا واقيا للذوق الجماعي حتى تحميه من الانحدار ومن التعجرم والواو ..

شخصية التونسي خلال القرون الخمسة الأخيرة

دراسة مستخلصة من بحث "شخصية التونسي :

محصول الجغرافيا والتاريخ"

-2-

بقلم الدكتور الضاوي خوالدة

تعامل المصلحين التونسيين ورجال الحركة التحريرية مع شخصية
التونسي

لقد صدرنا البحث بالمائة قارنا فيها بين العقل الغربي الحي النامي
المتحدد المقعم بالأسئلة والأجوبة التاريخية السائس لأكرم حضارة معاصرة
والعقل العربي سيجين المقولات المكرورة اللاتاريخية السطحية العقيمة مما أهله
ليكون تابعا هامشيا في ركب حضارة منهكة عاجزة مقهورة خالصة إلى
منهجنا "الجديد" في الكتابة الذي هم دراسة نحن / مجتمعاتنا العربية من
حيث البنيات النفسية والذهنية ومقوماتها المشكّلة عبر الزمان علنا نتبين الخلل
البنوي الذي أرسى دعائمه تاريخ طويل من الاستبداد السياسي والعسف
والظلم والقهر والجهل والجهلي ومحق إنسانية الإنسان إذ تبيّن (الخلل البنوي)
يعدّ المرحلة الأساس من مراحل العلاج تجعل الشعب يعي أن مكبلاته
النفسية والاجتماعية والسياسية ليست قدرا محتوما وأن تفكيكها وتكسيها
وتفجيرها أسهل مما كان يتصور فيتحرر من العقد ثم من الظلم ثم من الجهل
ثم من الآخر ثم ينخرط في ركب الإنسانية الحقّة... خلوصنا إلى المدخل

الحضاري الذي فحصنا من خلاله إحدى النفوس العربية (شخصية التونسي) وسيرنا أغوارها وجددنا عقدها وأدواءها المزمنة: إنه موضوع دراسة الأمم والشعوب قوميات وشخصيات وهويات وخصائص، هذا الموضوع الذي أولاه المفكرون الغربيون في العصور الحديثة عناية علمية فائقة وذكره بعض مصلحينا العرب وغير العرب وأحفادهم في معرض كتاباتهم وخطبهم ذكرا باهتا دفاعيا بلاغيا قد يكون متأتيا- إضافة إلى القصور الذهني - من الشعور الحاد بالتخلف العربي الإسلامي والشعور الأحد بعنفوان الحضارة الغربية الغازية أو المتحفزة للغزو، هذا الشعور قد خلخل ثقتهم بأنفسهم فأصبحت مقومات الأمة العربية لديهم مقومات تخلف والذوبان في الآخر (الغرب وتركيا أحيانا) أو في الماضي (مصر الفرعونية تونس الرومانية، العراق البابلية أو الآشورية...) سبيلا إلى التقدم، وقد كان هؤلاء المصلحون عموما ففتين: فئة أصولية تأسيسية عربية إسلامية وفئة تغريبية (تقليد الغرب في تنظيماته وفي نظامه) وكانت الفئتان في كل الأقطار العربية متعادلتين بل الغلبة والقيادة للأصولية ما عدا تونس التي كانت فيها المؤسسة الدينية (جامع الزيتونة ورجاله) تابعة لفئة المماليك الإصلاحية التغريبية النافذة سلطة لدى أسياها البايات، إن مما يثبت رأينا أربعة مواقف:

- موقف رجال الدين والحاشية عامة التمجيدي⁽⁸⁴⁾ من كتاب خير الدين - (ت1889)⁽⁸⁵⁾ " أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك " (الصادر 1867) الذي دعا فيه إلى أن الأسلوب الوحيد للإصلاح هو نقل التنظيمات الغربية⁽⁸⁶⁾

- موقف رجال الدين السلي من دستور عهد الأمان 1857-1861 الذي قد يفقدهم مصالحهم متعللين بأنه لا يناسب خططهم الشرعية⁽⁸⁷⁾

- إيعاز رجال الدين للباي بأنَّ عهد الأمان يحدّ من سلطته قائلين: " أي شيء بقي لسيدنا " (إذا طبّق عهد الأمان)⁽⁸⁸⁾

- اغتنام بعض رجال الدين الفرص لاحتلال منصب كل مغضوب عليه من البايات أو غاضب من سياستهم (من دعاة الأخذ الكلي عن الغرب)⁽⁸⁹⁾، وكان لهذا السبب أثر بالغ فادح في هوية تونس (شخصية التونسي) هذه الشخصية التي هي أحوج الشخصيات العربية إلى الترميم والإصلاح والتأصيل والعلاج باعتبارها شخصية - كما رأينا- غير سوية هشّة فقيرة خالية من المناعة الحضارية، ولعلّ من مقومات أيّ شخصية جماعية مكانا ثابتا (وطنا معروفا تاريخيا) تنسب إليه لكنّ اسم تونس والنسبة إليه لا يعني حتى منتصف القرن التاسع عشر غير مدينة تونس وقد كانت قبل ذلك **Africa** التسمية الرومانية التي تعني شمال غربي البلاد التونسية (الآن). ثمّ **Proconsulaire** ثمّ **Bysacène** التي تمسّح تقريبا تونس الحالية ثمّ أطلق العرب. لفظة إفريقية على نفس الجهة تقريبا مع شرقي الجزائر وغربي ليبيا ثمّ أصبحت تونس عاصمة إفريقية في العهد الحفصي يثبت ذلك أنّ ذكرها (تونس) في المؤلفات يعني مدينة تونس ولا يعني أبدا وطنا تونسيا: الحلل السندسية في الأخبار التونسية للوزير السراج والجواهر السنية في شعراء الديار التونسية لمحمد يرم الرابع والمؤنس في أخبار إفريقية وتونس لابن أبي دينار يضاف إلى ذلك قصائد الحنين إلى تونس المدينة لا تونس البلد /الوطن⁽⁹⁰⁾، ثمّ مدينة وعاصمة من مدن وعواصم الولايات العثمانية ثمّ بدأت تبرز ككيان/ شبه وطن لدى أحمد بن أبي ضياف (ت1874) خاصة الأفاقي التونسي لحما ودما الذي جعل مؤلّفه: " إنحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان " كشفا فتأصيلا لشخصية التونسي (الإفريقي)

العربية الإسلامية يؤكد ذلك العنوان والاقتصار في تاريخ تونس على الفترات العربية الإسلامية والإسلامية باعتبارها حجر الزاوية في صياغة الشخصية التونسية والتركيز على البعد السياسي وخاصة الإطلاق والظلم والقهر والجبروت التي عاشها التونسيون وإيلاء عناية لمصطلح الوطن ورمزه العلم⁽⁹¹⁾ وإشاراته المتكررة إلى الآفاقين والبرانية أبناء البلاد تعني التونسيين المضطهدين خلافا لغيرهم من الوافدين والأجانب: الأتراك، المماليك، الأشراف، النصارى، اليهود...⁽⁹²⁾ إن الإصلاح في رأي ابن أبي الضياف ليس نقل التنظيمات الغربية وإنما الاعتراف لهذا الشعب بهويته المميّزة وحقّه في المساواة مع غيره والمشاركة في الحكم⁽⁹³⁾ والتمتع بالعدل.

إنّ وعيا محدودا مبكرا بهوية تونس العربية الإسلامية وبالتالي بشخصية التونسي سيستمر متطورا متوضّح المعالم عبر الزمن لدى كتّاب وأدباء وسياسيين تونسيين أصولا وزيتونيين ثقافة غالبا أثار حفيظة اتجاهين انريا بحاربان بشدّة أيّ سعي إلى إثبات أو تحذير شخصية خاصة لتونس ذات مقومات تنصّرها الحضارة العربية الإسلامية أحدهما مملوكي (ماليك البايات وأحفادهم الأخلاط المغتربون) يسنده أتباع يرى أن تونس لا تكون غير عثمانية أو مندمجة في فرنسا أو في مصر، وثانيهما خليط من الأتراك وأحفادهم ووافدين آخرين وقلة من التونسيين يرى تونس -بعد انهيار الخلافة العثمانية وانتشار حركات التحرّر- أمة قائمة بذاتها وسيستمرّ هذا الاتجاه الأخير ويتطوّر!

- الاتجاه الأول: لقد اجمعت النخبة التونسية الأصيلة إجماعا يكاد يكون تاما على أنّ تونس وطن خاص وشعب خاص تشكّلت ملامح هويتها تشكيلا تبسيطيا عاما قبل الفتح العربي الإسلامي وحفرت هذه الهوية حفرا

ونحنها نحن العرب المسلمون فبقيت ثابتة في عقول الظلمة الغزاة الذين يعتنون
 ابن تونس "بالعربي أو المسلم"⁽⁹⁴⁾ مهزوزة أحيانا في عقول أهل البلاد بفعل
 ما حاق بهم من قهر واستبداد ومحاب وعسف، وكان من بين المناضلين في
 سبيل إثبات هوية تونس العربية الإسلامية واعتبار ذلك من ركائز الإصلاح
 والنهضة:

* الطاهر الحدّاد (ت1935) الذي كان من رواد الإصلاح السياسي
 والاجتماعي إذ نشط أيام شبابه نشاطا محمودا في صفوف الحزب الحر
 الدستوري التونسي المنادي أوّل مرّة "بالوطنية التونسية" ورافق عبد العزيز
 الثعالبي (ت1944) رافع علم الوطنية والهوية العربية الإسلامية وكتب
 "تونس الشهيدة" و"معجزة محمد" و"الروح التحررية في القرآن" لكنّ ترهّل
 هذا الحزب سريعا وغرّه بكبار الملاك وأصحاب المصالح وتحجّر الثعالبي
 جعل الطاهر الحدّاد لا يستمرّ طويلا في نشاطه في هذا الحزب المحتضر
 فيبحث عن مدخل آخر غير "السياسة" يسهم به في الحركة الوطنية ألا وهو
 المدخل الاجتماعي أي أنّ علاج الأمراض الاجتماعية التونسية يؤهّل الشعب
 للنهوض والمطالبة بالحقوق فكان كتابه "امرأتنا في الشريعة والمجتمع" الذي
 زلزل به عروش التحلّف الذهني ورجّ قصور الخاصة وأعيان البلاد الوافدين
 فاقحموه بتهم نذكر منها أغرها في رأينا وهي أنّ الطاهر الحدّاد آفاقي / دخيل
 (أي أصيل الجنوب التونسي!)⁽⁹⁵⁾ والأغرب أنّ المتهم وافداً ، ونضاله في
 الحركة النقابية مع محمّد علي الحامي (ت1928) وتأليفه: "العمال التونسيون
 وظهور الحركة النقابية" (جامعة عموم العملة التونسية) وقد أفصح الحدّاد عن
 حبه العميق لوطنه وشعبه إفصاحه عن إيمانه بهوية هذا الشعب العربية
 الإسلامية، قال من بحر البسيط:

أفديك يا وطني بالنفس والمال
...حي إلبك أراي الخطب منقبة
...إني بخدمة أوطاني أذب على
...إيه ! بني وطني هيا لنصلح ما
وقال من بحر الطويل :

أتونس عندي في هواك تولع
...فيا ليت شعري هل تصادف نشأة
...وتلبسها تاج جهاد مخضب
وأنت مني نفس عليك تقطع
تقيم لها رأسا أميل وترفع
وفيه المنى والعز والسعد لامع⁽⁹⁶⁾

* محمد علي الحامي: زعيم الحركة الاجتماعية النقاوية. مفعم بالوطنية التونسية مؤمن بشخصية تونس العربية الإسلامية لا يرى إصلاحا للبلاد ولا حرية لأهلها إلا بالاتحاد وتأسيس شركات التعاون والتضامن، وكانت خطبه الكثيرة لا تخلو من كلمات مفاتيح من قبيل: "أمي وبلادي، نحن أبناء أولئك الأجداد قد ورثنا عنهم الفخر الخالد، نقابات الوطن، نحن أبناء الإسلام، البلاد التونسية، الوطن التونسي...⁽⁹⁷⁾ وقد أجمل الحداد شعور محمد علي الحامي الوطني في فقرات من كتابه: العمال التونسيون⁽⁹⁸⁾.

* أبو القاسم الشابي: (ت 1934) : إن كان إبداع الشابي الشعري وسمعته الأدبية التي ملأت الدنيا وشغلت الناس ووطنيته القدوة المبثوثة في كل قصائده ودوره المميز في إحياء هوية الشعب التونسية العربية الإسلامية يغني عن التعريف به فإن الإحالة على بعض نفاثات صدره قد تكون مفيدة في هذا المجال⁽⁹⁹⁾.

المقاومون للتجنيس: حاول الاستعمار الفرنسي أن ينصر التونسيين

ويفرنسهم مستعملا وسائل ترغيبية كثيرة وقانونية كالقانون المتعلق باكتساب الجنسية الفرنسية بالبلاد التونسية الموافق عليه من مجلس الشيوخ الفرنسي ومجلس النواب 1922/12/20 بغية مسح الشعب التونسي العربي المسلم وتشويهه وتذويه في الشعب الفرنسي لكن أبناء البلاد الأصليين قاوموا هذا المشروع مقاومة جدّ عنيفة مدافعين عن هوية تونس وشخصيتها فهذا الأديب حسين الجزيري يقول: "حق التونسيين أن يحمقوا الفكرة ويقاوموها بكلّ قوّة لديهم لما بين الجنسية والدين من الربط المتين، بل لأنّ الجنسية هي الدين نفسه... إنّ مقاومتنا لفكرة التحنيس السوداء إنّما هي دفاع عن كياننا وذود عن ديننا وحماية لمعنى وجودنا... إنّ لم تكثر الأمة بطامة كهذه ولم تكن في نظرها هي القضية الوحيدة التي لا يمكن الإغضاء عنها فما معنى الكيان والحياة؟... لقد طلبنا ضمانات واقية لقوميتنا كنشر لغتنا والاهتمام بها فإذا بدل ذلك ترغيب التونسيين في الانفصال عن جنسيتهم"⁽¹⁰⁰⁾. وهذا آخر لم يذكر اسمه يقول: "كان وقع إباحة التحنيس للأمة التونسية شديدا عليها هوله ومصابه حيث أنه تراه أمامها كفتح باب الانقراض فالداخل فيه لا يرجع، وهكذا يتمّ الفناء عن قصر أمد أو عن طول فيه، فتنحركت بحذاقها تطالب بغلق ذلك الباب وردّ هذا التيار... شأن الأمم الحية التي ترى لجنسيتها رفعة ولدينها مكانة ولأخلاقها صفاء ولحقوقها السياسية والاجتماعية سلطانا على النفوس... إنّ الفرنسي والعربي لو طبخا في مرجل ما امتزجا قطّ وذلك لتباين مواد التركيب الفطري في المواهب والمزاج... إنّ لنا ديننا وشرفا وتاريخا ولغة ومجدا وحسبا ونسبا وذاتية لا نرضى بغيرها بديلا."⁽¹⁰¹⁾ وهذا الطاهر الحدّاد يفضح سياسة التحنيس في مقالات تنضح وطنية وقصائد مشبعة هوية تقتطف منها ما يلي:

... " لقد انتبه التونسيون على صواعق الحرب الكبرى وعادتهم اليقظة التي دبت في الشرقيين ذلك جميعا وخصوصا المسلمين وشجعتهم في صدورهم وانتشر على وجوههم الشعور القومي، ذلك الشعور العظيم الهائل، ذلك الشعور الذي يشر المستضعفين ويهدد المتغلبين... إن سياسة الاحتلال المادية والمجرّدة من استعمال العقل لئن كانت تسلب المادة منا وتحاول فصلنا عن خصائصنا الأدبية والتاريخية فإنها أيقظت بقدر ذلك عواطفنا وشعورنا القومي يقظة ستظهر الأيام قيمتها ولو بعد حين..." (102).

ومن بحر الطويل:

ألق أيها الشعب المهان لقد أتوا إليك بتجنيس لعلك تبخد
وتبهد لهم بالحس إنك ما جد وإن كنت في يؤس فجسك أرفع (103)

وهذا الشيخ سالم بن حميدة الأكوادي يقول من بحر الوافر:

فهل من مسلمين يعزّ عنهم ضياع مفاخر السلف العظام

فيلقون النفوس إلى جهنم يهان بقضيلها ذين النهامي

ويقنون البين وكل مــــال ليحيوا مجد أباء عظمــــام (104)

وكان في تلك الفترة المصلح الجزائري عبد الحميد بن باديس (ت 1940) يقاوم التفسّخ والذوبان قائلا تلك الأبيات الشهيرة من مجزوء الكامل:

شعب الجزائر مسلم و إلى العروبة ينتسب

من قال: حاد عن أصله أو قال : مات فقد كذب

أورام إدماج له رام الخال من الطسلب

مع العلم أنه بينما كان التونسيون العرب المسلمون يقاومون التجنيس أفتت فرنسا الشيوخ الحنفيين (الوافدين من سليلي الترك) وبعض الشيوخ المالكيين (الوافدين من أقطار أخرى) فأفتوا بأن التجنيس لا يخرج المسلم عن دينه (105)

- الاتجاه الثاني: لقد نفى هذا الاتجاه المملوكي (أصحابه سليلو ممالك البايات وتلاميذ المملوك خير الدين باشا المنبهر بفرنسا والغرب) ومن سار في ركابه وجود هوية للشعب التونسي معتبرينه غير مؤهل لذلك تاريخيا وغير مالك لمقوماتها وإنما هو مجموعة بشرية تابعة لقوى تحكمها آخراتها تركيا وفرنسا وقد نظم هذا الاتجاه نفسه في جمعية هي "حركة الشباب التونسي" (نسبة إلى تونس العاصمة) مطالبا فرنسا بسن سياسة تقارب بين الأهالي والفرنسيين⁽¹⁰⁶⁾ مؤكدا رضاه بالحماية الفرنسية آملا في تطبيقها⁽¹⁰⁷⁾ مستعدا لفعل أي شيء في سبيل ذلك⁽¹⁰⁸⁾ مقرا بتخلف "بلاده" وحاجتها الماسة إلى فرنسا⁽¹⁰⁹⁾ حتى قال أحدهم: "هل تكلف فرنسا الجمهورية فوق طاقتها إذا طالبنا بالمساواة والأخوة"⁽¹¹⁰⁾ ثم فقال آخر مؤكدا إن إضراب "الترامواي" (9 فيفري 1912) ليس موجها إلى فرنسا: "إن فرنسا بالنسبة إلينا أسمى من أن يناها أحد يسوء"⁽¹¹¹⁾ ومن الأفكار التي روجها أتباع هذا الاتجاه أيام للحرب العالمية الأولى وإعلان تقرير مصير الشعوب ضرورة انضمام تونس إلى تركيا أو مصر⁽¹¹²⁾

- الاتجاه الثالث: ما كاد الصراع بين دعاة وطن تونسي متم إلى حضارة عربية إسلامية ودعاة إيالة عثمانية أو فرنسية أو مصرية يؤدي أكله لصالح وطنية تونسية عربية إسلامية وذلك بتهميش طبقات العفونة التي لفت هوية التونسي ثم صقلها وتلميعها ليرى الشعب التونسي نفسه فيها فيحيا معتزا مفتخرا ويقوم قومة رجل واحد ناثرا مجاهدا في سبيل حريته واستقلاله ومستقبله التي حرم منها مئات السنين حتى هيمن على البلاد العمل السياسي (القائم على التفاوض وسياسة خطوة بخطوة وخذ وطالب وإبعاد الشعب عن حقه في النضال والمقاومة وعزله عن حركة التحرر "المغاربية") تقوده

فئة الاتجاه الثالث التي لا ترى تونس عشية " الاستقلال " وأثناءه وبعده قطرا عربيا إسلاميا ولا إيالة عثمانية وإنما تراها أمة قائمة الذات تستمد مقوماتها من الحضارة القرطاجية والرومانية ولا صلة لها بالأمة العربية الإسلامية ولعل من أبرز المنظرين لهذا التوجه المدعوم سياسيا حزبيا عشية " الاستقلال " والمطبق بنفوذ سلطة الحكم الحبيب بورقيبة وتلاميذه : علي بلهوان ومحمد مزالي والبشير بن سلامة ...

* علي بلهوان (1909 - 1958) : سليل أسرة بلهوان التركية الوافدة (113) تشبع بالثقافة الفرنسية وانخرط في العمل السياسي ممارسا ومنظرا من آثاره محاضرة / كتيب 1944 : " نحن أمة " حاول أن يردّ فيه على من نفى وجود أمة تونسية (114) ويضع أرضية فكرية "للحركة التحريرية" التونسية التي غلبت عليها الشعارات والغموض والمقاهيم المبهمة . إن الأبعاد الدفاعية والسياسية والتعسف في إثبات غير الموجود جعلت تحديدات علي بلهوان " لأمة تونسية " غامضة خوفا مستوحاة من تعريفات أطلقها مفكرون غربيون على أمم غربية من ذلك قوله نقلا عن Renan "الأمة" هي روح وإن شئت قلت مبدأ يتألف من أمرين ينحصران في أمر واحد، يتعلق أحد هذين الأمرين بالماضي والآخر بالحاضر فالأول هو ملك ماض ثري من الذكريات ملك مشاع والثاني هو الرضا في الوقت الحاضر والرغبة في العيش معا وما الإرادة في الاستمرار على المطالبة بالإرث الذي وقع الاتصال به على الشيوع... " (115) أن وجود أمة هو استفتاء يومي كما أن وجود الفرد إثبات دائم للحياة (116) " إن الإنسان ليس بعبد لا للجنس ولا للغة ولا لمجرى أنهار بلاده وسلسلة جبالها، إن مجموعا كبيرا من البشر ذوي العقول السليمة والقلوب الحية تكون ضميرا أدبيا يطلق عليه اسم

أمة⁽¹¹⁷⁾ "إن اللغة والدين والجغرافيا وإن كانت من مقومات الأمم لا تكفي وحدها لإيجاد تلك العاطفة القومية بين أفراد قطر من الأقطار"⁽¹¹⁸⁾

* البشير بن سلامة: سليل أسرة (أصيلة لبيبا⁽¹¹⁹⁾) علمية خدمت البايات⁽¹²⁰⁾ يرى أن الأمة التونسية والدولة التونسية لم توجدا قبل الاستقلال وأن الحبيب بورقيبة هو الذي أسس الدولة التونسية ووفر شروط بروز الأمة التونسية⁽¹²¹⁾ لكن هذه الأمة التونسية بالنسبة إلى ابن سلامة تستمد مقوماتها من أدبنا وأدبائنا الرومانيين قبل الفتح الإسلامي حيث قال: " لماذا نحن كشعب عريق في الحضارة لا ننظر إلى أدبنا وأدبائنا قبل الفتح الإسلامي ونحاول أن نضبط السنة الأدبية والفكرية التي درجوا عليها لعل ذلك يدلنا على حقيقتنا ويعرفنا بذاتنا ويميز ملامح شخصيتنا التي عملت أنظمتها كثيرة أجنبية على طمسها وإحلال معالم مشوهة مكانها"⁽¹²²⁾ "وأن الأدب اللاتيني الذي خلقه أبناء قرطاج قبل الفتح الإسلامي وزخرت به مكتباتها يحمل بين طياته هذه السنة الأدبية والفكرية القومية التي نجدها بالتالي ماثلة كأحد ما يكون البث في أدب الشابي والطاهر الحداد وسعيد أبي بكر وعلي الدوعاجي ..."⁽¹²³⁾ "إنه لمن الغين لأنفسنا ومن التكرار لروحنا الأصيلة أن نضرب صفحا عن عناصر هامة عملت على صهرنا وأسهمت في تكوين شخصيتنا وباتت جزءا من كياناتنا بدونها لا يمكن أن نعي أنفسنا الوعي الكامل ولا أن ننطلق إلى بناء غد شعبنا الذي تقاذفته قديما وحديثا التيارات العديدة النابعة عن أنظمة أجنبية لم تفهمه ولم ترد فهمه بل عاكسته ورامت مسخه مسخا... وللأسف لم نعتن تماما بأدبنا الذي كانت تزخر به مدينة قرطاج في جاهليتنا قبل انتشار الإسلام... فكيف يعقل أن يعتني أهل الجزيرة

العربية بعد تغلغل الإسلام فيهم بأيامهم وخطب بلغائهم وشعرهم رغم الروح الجاهلية المتمكنة من كل هذا التراث والتي أنكرها الإسلام وكافحها ولا نولي أدبنا التونسي الجاهلي العناية الجديرة به بدعوى أنه باللغة اللاتينية وأنه سبق الإسلام؟ ألا يحق بنا وبالأجيال الصاعدة أن نعتز بالقديس أغسطينوس وأبو ليوس وما غون .. وتصرف لهم جهدا كبيرا حتى نبرز في لغتنا عيون الأدب الجاهلي التونسي ونعمق جذورنا إلى أبعد أبعادها لنقدر على مواجهة عصرنا فتنصهر فيه ونصهره؟" (124)

* محمد مزالي : سليل أسرة منستيرية علمية مرضي عنها من قبل البايات (125)
حاول أن يثبت أن تونس أمة قائمة الذات "مقوماتها: الروحانيات المستمدة من الشرق والتي أشاعها الأنبياء وخاصة موسى وعيسى وعمر والتفاعل مع روح البحر الأبيض المتوسط الذي يحيط ببلادنا شرقا وشمالا ويجمعنا مع شعوب متجانسة ومتقاربة ... مما أورت فينا النظرة الواقعية والقدرة على التسامح والنفور من التطرف وتوسط مركز الاعتدال في كل شيء... إن تونس ليست مجرد فرع من أصل إنما وطن متميز" (126) ثم تحدث عن التونسية فعرّفها بما يلي: "إنما التونسية روح قبل كل شيء ووفاء للذات وعمل لخلق شباب تونسي مؤمن بمقومات أمته" (127)

الحبيب بورقيبة : 1903-2000 سليل أسرة متواضعة مجهولة الأصل البعيد (128)
عمل أبوه جنديا في عسكر الباي تشبع بالثقافة الفرنسية وانخرط في الحركة "التحريرية" وكان الأبرز فيها وحكم تونس أكثر من ثلاثين سنة حكما مادحوه كثر وناقذوه كثر والمتوسطون يكادون لا يوجدون إن الباحث قد يجانب الصواب إن شك في زعامة بورقيبة وجه لتونس ونضاله في سبيلها كما يجانب الصواب مكذبا التاريخ إن قال إن هذه الزعامة والحب والنضال

قد أثمرت المأمول منها وهو الارتقاء بتونس إلى مستوى مرموق والسبب:

1- إيمان بورقية الراسخ بان تونس لم تكن شيئا قبله (129) وأنه هو الذي صنعها شعبا وأمة مستقلين عن غيرهما مميزين مقومات وأن الغرب القذوة الوحيدة في كل مناحي الحياة والشرق العربي الإسلامي بؤرة الغيبات والتخلف وقد عملت أجهزة دولته على تنفيذ هذا التصور في الواقع التونسي بالقانون والتربية والإعلام والثقافة فكان:

- إغلاق جامع الزيتونة المغذي لهوية تونس العربية الإسلامية منذ تأسيسه أوائل القرن الأول للهجرة وإصلاح النظام التربوي (1958) إصلاحا علمانيا ذا توجه غربي ثقافي إيديولوجي مناقض لهوية تونس حتى أن واضعيه خبراء فرنسيون (130) ونشر ثقافة الاستهتار بالدين الإسلامي (131)

- مجلة الأحوال الشخصية (الرائد الرسمي عدد 66 الصادر في 17 - 8 - 1956 ص 1544) كانت نظريا ثورة في حياة المرأة لكنها عمليا كانت سابقة للأوامر إذ المرأة التونسية والعربية عامة كانت وقتئذ تحت أعباء الخرافات والجهل والمهانة والفاقة والعبودية والظلم مما يحتم إدراج هذه الثورة في سياق ثورة أكبر تولى الإنسان (الرجل والمرأة) عناية على جميع المستويات السياسية (الحرية، الديمقراطية) والاقتصادية (ضمان الحياة وتكافؤ الفرص) والاجتماعية (بمجتمع مدني مشارك) والثقافية (تأصيل وتفتح) والتربوية (بناء إنسان الغد) حتى تعي المرأة حقوقها وواجباتها فتصرف تصرفا بانيا لا مهدما مؤصلا لا مفسخا مبدعا لا مقلدا حافظا للأسرة لا مشتتا لها. أما أن تكون هذه المجلة باكورة إنجازات بورقية فالأمر قد لا يخلو من نية منه في تغريب المجتمع التونسي إذ المرأة حصن الهوية وسرها وحصنها فإذا انثلم أو دمر تداعى المجتمع (132)

- تغيير الألقاب والأسماء : قانون عدد20 لسنة 1964 مؤرخ في 17 محرم 1384، 1964/05/28. يتعلق بتغيير اللقب أو الإسم: إن التحولات الكبرى في تاريخ الأمم والشعوب تعني فيما تعني تحديد هذه الشعوب والأمم أي القطع مع الماضي وصياغة مجتمع جديد على جميع الأصعدة لذلك يكون نظام التسميات المشحون ثقافة قديمة مستهدفا للتغيير والتحديد والأمثلة على ذلك كثيرة: فالإسلام أسلم منظومة الأسماء والمسيحية نصرتها والثورة الفرنسية شذبتها وجددتها.. إلخ ومن إنجازات بورقية في هذا المضمار إصلاحه لنظام التسميات متأثرا طبعا بالثورة الفرنسية كأنه لا يعي ما معنى الثورة الفرنسية (إرهاصاتها وإنجازاتها ونتائجها على مستوى العالم الحديث) فركز في هذا الإصلاح على تغيير الألقاب ذات البعد القبلي والعشائري والأسري ... بغية تفتيت هذه البنيات الاجتماعية والعائلية وتدمير مقومات شخصيتها وهويتها لأنها بدت له ، إن بقيت على حالها خطيرة على مستقبل نظام كرس جهوده على تنمية مناطق معينة (بقيت ألقاها ثابتة!) .

إن إصلاح بورقية للألقاب كان عكس ما فعلته الثورة الفرنسية فالفرنسيون منعوا التسمي بالأسماء المستقاة من ملكيات حقيقية (مادية) أو معنوية (خيالية) أي ضرب الإقطاع والنبالة والطبقية الظالمة ودعوا إلى التسمي بأسماء رجالات فرنسا المعروفين في التاريخ⁽¹³³⁾ سعيا إلى التحذير والتأصيل وبورقية رسخ ما منعت الثورة الفرنسية!

- نشر ثقافة تونس أمة: حبيب الأمة، زعيم الأمة، نسبة كل المؤسسات إلى "قومية". والدعوة إلى جعل اللهجة العامية التونسية لغة قومية مستعملة في الإدارة والإنتاج الأدبي والفكري (كما أشرنا سابقا) والدعوة أيضا إلى خلق

اختلاف لغوي بين تونس والمشرق وذلك بتعريب مصطلحات غربية تعريبا يختلف عما أقرته المجامع اللغوية الشرقية السابقة في هذا المجال. إن من نتائج هذه السياسة تضعضع ترميمات الاتجاه الأول للهوية العربية الإسلامية وبروز جيل منبت فاقد للمخلفية الحضارية مسلوب الإرادة عاجز عن الفعل تتلاعب به تيارات اليمين واليسار

2- تحديثه الحكم الفردي المطلق القائم على صيغ تفضيل مطلقة : المجاهد الأكبر، الزعيم الأوحد، فلنة من فلتات الدهر، الرجل الأول، المحامي الأول، القاضي الأول... التي تعني فيما تعني أن التونسيين عقماء أغبياء وجمعه بالتالي كلّ السلطات في يده جاعلا وظيفة الوزراء المختارين من جهة معينة شكلية بحتة.

إن من نتائج هذه السياسة الإطلاقية المدعومة بأزمات بورقية المرضية، فقدان بورقية التدريجي لنفوذه الفعلي لصالح الكتلة الأقوى في سلم الكتل المتصارعة على خلافته مما جعل تونس بداية من مطلع السبعينيات خاصة تعرف أزمات طاحنة أشهر من أن تذكر.

الهوامش

1- منهم: أبو حيان التوحيدي: كتاب الإمتاع والمؤانسة ، ج 1 صححه وضبطه وشرح غريبه أحمد أمين وأحمد الزين، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ص 70 - 96 (الطبعة السادسة: أنفضل العرب على العجم أم العجم على العرب؟)

2- منهم:

- Hegel, G, W, : The philosophy of history, wiley, 1944.
- Montagn: Ashly: Man's Most Dangerous myth oxford university Press, 1974
- Huston stewart chamberlin: the foundation of the nineteenth century.
- Borzun, Jacques: Race, a study in superstition, harper & Rou, 1965.

- وقد تضمن الكتاب التالي : تنعم البيطار: حدود الهوية القومية: نقد عام، دار الوحدة بيروت، 1982، مؤلفات عديدة تناولت هذا الموضوع.

3- رد جمال الدين الأفغاني على زعم بعض علماء العرب "بأن العرب جامدون ذهنياً متخلفون علمياً مرهنا عن مزاياهم الذهنية وحسبهم الطبيعي للعلوم" ... ثم تصدى بقوة لحملة التبريك قائلا: "لقد أهل الأتراك أمراً عظيماً... وهو اتخاذ اللسان العربي لساناً للدولة، ولو أن الدولة العثمانية اتخذت اللسان العربي لساناً رسمياً وسعت لتعريب الأتراك لكانت أمتهم قوة ... ولكنها فكرت بتبريك العرب. وما أسفله وأسفله من رأي! إنما لو تربعت لانتفتحت بين الأمتين النعمة القومية وزال داعي التفوق والانقسام وصاروا أمة عربية بكل ما في اللسان من معنى، وفي الدين الاسلامي من عدل، وفي سيرة أفاضل العرب من أخلاق وفي مكارمهم من عادات، لكن مع الأسف كان عدم قبول فكرة تعميم اللسان العربي خطأ يينا ... لو اتصف الأتراك أنفسهم واحتلوا بالحزم واستعربوا فمن كان من دول الأرض أغنى منهم مملكة ؟ وأغز حانيا ؟ وامنع قوة ؟ ... فكيف يعقل تبريك العربي وقد تبارت الأعاجم في الاستعراب وكان اللسان العربي لغو للمسلمين، ولم يزل من أغز الجامعات وأكثر المقاسر، فالأمة العربية هي قبل كل دين ومذهب "جمال الدين الأفغاني: الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني ، دراسة وتحقيق د. محمد عمارة، دار الكتاب العربي، القاهرة 1968 ص 208 و 224 و 236.

وقال عبد الرحمان الكواكبي: "... أما أهل الشرق فهم أديبون ويغلب عليهم ضعف القلب وسلطان الحب والإصغاء للوجدان والرحمة في غير موقعها واللفظ ولو مع الحصرم والفتنة والقناعة والتهاون في المستقبل "عبد الرحمان الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستبعاد، القاهرة، دت ص 79.

4- دعوة متقفين مصريين طيلة النصف الأول من القرن العشرين إلى عودة مصر إلى جنورها الفرعونية (غالي شكري: النهضة والسقوط في الفكر المصري الحديث الدار العربية للكتاب

1983 ص 279) ومناداة أحدهم وهو عبد العزيز فهمي 1945 بانقاذ الحروف اللاتينية لرسم الكتابة العربية (بشر بن سلامة: اللغة العربية ومشاكل الكتابة، الدار التونسية للنشر 1971 ص 70 - 71) ومحاولة كتاب تونسيين بتر تونس من هويتها العربية الإسلامية و"إثبات" بعضهم أنها أمة قائمة بذلك (علي بلهوان: نحن أمة) و"إثبات" بعضهم الآخر أنها أمة تستمد مقوماتها من جنورها القرطاجية الرومانية (العربية ومشاكل الكتابة ص 129 - 156: السنة الأدبية والفكرة القومية، ص 157-160: في الأدب الجاهلي التونسي! ومجلة الفكر السنة 20 العدد 8 ماي 1975 ص 4-14: بشر بن سلامة: ابن رشيق الأديب الإفريقي) وهناك من توسط جاعلا تونس أمة "تستمد بعض مقوماتها من الحضارة العربية الإسلامية" (محمد مزالي: مواقف، الدار التونسية للتوزيع 1973 ص 25-26 و 37-38...)

5- نشر كتابان في مصر:

- د. جمال حمدان: شخصية مصر (دراسة في عبقرية المكان)، عالم الكتب، القاهرة، (د.ت)، 3 مجلدات درس تاريخ مصر دراسة علمية لكنه لم يول شخصية المصري أهمية كبرى.

- د. نعمات أحمد فؤاد: شخصية مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب : 1989 ، ط 5. يكشف قول المؤلفة في مقدمة الكتاب : "... في 1968 والنفس المصرية عجزها العذاب والألم وفقدان الثقة كتبت كتابي : "شخصية مصر" بقول للهرطقة: " لا... بقولها من منطلق عطاء مصر للإنسان والأديان والقيم على مسار تاريخها كله"

- من المؤلفات التي تناولت جوانب من الموضوع معجمة موحدة (دون تركيز يذكر على شخصية قطر معين من الأقطار العربية ماعدا هشام جعيط في حدود):

- هشام جعيط: الشخصية العربية الإسلامية والمصور العربي.
- عبد الله العروي: العرب والفكر التاريخي وأزمة المثقفين العرب وتكوين العقل العربي...
- محمد أركون : تاريخية الفكر العربي الإسلامي : والفكر الاسلامي: قراءة علمية.
- هشام شرابي: المثقفون العرب والغرب ...

6 - الملاحظ: الرسائل السياسية: قدم لها وبوها وشرحها د.علي أبو ملح، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط 1 (د.ت) : رسالة مناقب الترك ص 473 - 519

7- أحمد بن أبي ضياف: إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ، الدار التونسية للنشر 1989 (ج8).

8- الضايوي خوالدية: الذوات والأسر التونسية في القرن XIX من خلال إتحاف أهل الزمان (2000) والمهامة أولاد بونجي في القرن XIX من خلال مكاتب الفياض، (1995) و Ben Achour Md Aziz : Catégories de la société Tunisienne dans la 2^{ème} moitié du XIX S., Ministère des Affaires Culturelles 1989.

9- الذوات والأسر التونسية ص 96

10- الإتحاف ج5 ص 148 والذوات والأسر ص 72-73

- 11- اللوات والأسر التونسية ص 68-69 و Catégories de la société Tunisoise p. 29-33
- 12- اللوات والأسر ص 122، 170.
- 13- اللوات والأسر ص 124 والإتحاف ج 3 ص - 165-167، 123، 131، 191، 222-219 والإتحاف ج 4 ص 118، 157، 28، 35، 90، 48، 60، 227، والإتحاف ج 5 ص 128 ...
- 14- الإتحاف ج 6 ص 97
- 15- اللوات والأسر ص 168 - 169 والجزيري: معائب الآثار في التراجم والأخبار تحقيق حسن محمد جوهر، القاهرة: 1958 - 1967 ج 4 ص 11 - 12 ومحمود مقديش : نزعة الأنظار في معائب التواريخ والأخبار ط. تونس 1903 ج 1 ص 243 - 244، 247.
- 16- الجنرال حسين: حسم الألباد في نازلة محمود بن عباد، طبعة مصر 1875 ص 28
- 17- الإتحاف ج 5 ص 129
- 18- الإتحاف ج 4 ص 92
- 19- حسم الألباد ص 33 - 34.
- 20- معائب الآثار ج 4 ص 11-12 ونزعة الأنظار : ج 1 ص 243-244، 247
- 21- نزعة الأنظار ج 1 ص 242
- 22- الإتحاف ج 4 ص 165
- 23- الإتحاف ج 5 ص 146
- 24- الإتحاف ج 4 ص 229
- 25- الإتحاف ج 3 ص 165-167.
- 26- مضاعفة المعنى على الفرد من 36 رباعا (الإتحاف 4 / 230) إلى 72 رباعا (الإتحاف 6/131).
- 27- الإتحاف ج 4 ص 162 - 163 وج 6 ص 128
- 28- الإتحاف ج 5 ص 129.
- 29- الإتحاف ج 5 ص 129
- 30- الإتحاف ج 5 ص 148
- 31- الإتحاف ج 5 ص 131
- 32- الإتحاف ج 5 ص 145
- 33- الإتحاف ج 5 ص 167
- 34- الإتحاف ج 6 ص 95
- 35- الإتحاف ج 6 ص 131-132
- 36- الإتحاف ج 5 ص 150

- 37- الإغاث ج 3 ص 275
- 38- الإغاث ج 5 ص 208 - 209
- 39- الإغاث ج 6 ص 38
- 40- الإغاث ج 6 ص 120
- 41- حسين حوجة: ذيل بشار أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان، والسوسى: مسامرات الظريف بحسن التعريف، والتيفر: عنوان الأريب عما نشأ بالملكة التونسية من عالم وأديب ومحمد يوم الرابع: الجواهر السنية في شعراء الديار التونسية والعياضى الباجي: مفتاح النصر في التعريف بعلماء العصر والضايي حوالدية: الدوات والأسر التونسية ...
- 42- انظر هامش 45
- 43- الدوات والأسر التونسية في القرن XIX ص 120
- 44- إغاث ج 4 ص 39 - 41 بسط الكاتب مسألة التسوية (الزعمومة) موردا قصيدتي مدح وتنبؤ بالحدث الأولى لإبراهيم الرباعي ومطلعها من الطويل:
- جوت بإحسان للذهب مالك قلوبا كواها الكسر يا خير مالك.
- والتالية لمحمد بن سلامة ومطلعها من الوافر:
- نظمت القوم في سلك انتظام فخر المالكية في ابتسام
- 45- إغاث ج 4 ص 73-76
- 46- إغاث ج 4 ص 245 - 248
- 47- إغاث ج 7 ص 24-25
- 48- إغاث ج 7 ص 166
- 49- إغاث ج 8 ص 92 وج 3 ص 270 - 274
- 50- إغاث ج 8 ص 171 - 172 (مثال)
- 51- بوكلو موسكاو: سميلاسو في إفريقيا (رحلة أمير لكان إلى الإيالة التونسية في سنة 1835)
- تعريب منو الفنلري ، بيت الحكمة تونس 1989 ص 88 ، 101 ، 138
- 52 -E.Pellissier : Description de la régence de Tunis 2é. Ed. Bouslama Tunis 1980 p : 330-333
- 53- Dr. L. Frank et J.J.Marcel : Histoire de Tunis , 2éd. Ed . Bouslama Tunis, p 100-104
- الإغاث ج 1 ص 20-26.23.
- 54- شارل أندري جوليان: المعمرن الفرنسيون وحركة الشباب التونسي تعريب محمد مزالي واليشير بن سلامة، الشركة التونسية للتوزيع (د.ت) ص 21.
- 55- المعمرن الفرنسيون: ص 122، 26، 28، 65، 97....
- 56- ابن خلدون: المقدمة، مكتبة المتن، بغداد، دون تاريخ ص 188
- 57- المقدمة ص 142

- 58- البلاذري: فتوح البلدان ص 228
- 59- القطر التونسي في صفوة الاعتبار ص 62-63
- 60- DR.Louis Frank et J.J. MARCEL: Histoire de Tunis, 2^e éd. E. Bouslama, Tunis P:100
- 61- Frank et MARCEL P:102
- 62- Frank et MARCEL P:103
- 63- E.Pellissier, Description de la régence de Tunis, 2^e éd. E. Bouslama, Tunis 1980 P:330
- 64- E. Pellissier:P331
- 65- E. Pellissier:P332
- 66- E. Pellissier:P337-338
- 67- سبيلاسو في إفريقيا ص 88
- 68- سبيلاسو في إفريقيا ص 101 (وقد أكد ما نقله الفرييون الثلاثة تونسيون كثير منهم: الباطر الحثاد العمال التونسيون وظهور الحركة النفاية، دار بوز2 سلامة للطباعة والنشر والتوزيع تونس 1987 ص 19، 23-24، ومحمد الهادي ابن القاضي: تفشي استعمال المعدرات بين شباب الأتمة: المحلة الزيتونية ج 10 م 2 جمادى الأولى 1357، جريدة 1938 ص 405-407، وهشام جعيط أبان في بحثه القيم: الشخصية العربية الإسلامية والمصير العربي، دار الطليعة بيروت ط 1 1984 عن ثلاث مجلدات: الشخصية التونسية: انتشار ظاهرة اللواط ص 84 وعلاقات العداء بين التونسيين (وبين الأخ وأخيه): العنف والحقد والحسد والضغائن والاستهزاء والشائعات والاستنفاضة ص 92 والاعتقاد في السحر وممارسته ص 168.
- 69- الذوات والأسر التونسية ص 89، 116، 119، 120-114
- 70- الإتحاف ج 5 ص 127-213 وج 6 وانظر وثائق تونسية: ثورة ابن غلهم 1864، تونس 1967 وابن سلامة: انتفاضة 1864 تونس 1967 و:
- Jean Ganiage : Les origines du protectorat en Tunisie P : 217 - 274
- 71- العمال التونسيون وظهور الحركة النفاية ص 174 - 175
- 72- العمال التونسيون وظهور الحركة النفاية ص 23 - 24
- 73- الذوات والأسر ص 68 - 71 والإتحاف ج 7 ص 139، 148، 166، 41، 120 وإتحاف ج 8 ص 171 - 172
- 74- الذوات والأسر ص 110 (عدد الأسر الصوفية والطرقية 14) وص 126 - 130 (تبيان أصولها الأحنفية)
- 75 العبدري : رحلة العبدري (الرحلة المغربية) تحقيق محمد القاسي ط . جامعة محمد الخامس

- 1968 ص 40 - 41 (مثلا)
- 76- الوزير السراج : الحلال السندسية في الأخبار التونسية تحقيق محمد الحبيب الجيلة ، الدار التونسية للنشر 1970 ج 1 ص 49
- 77- الإتحاف ج 5 ص 129
- 78- نزعة الأنظار ج 1 ص 242
- 79- الإتحاف ج 8 ص 185
- 80- سميلاسو في إفريقيا ص 89 ومحمد بن الخوجة: كيف دخل الزي الأوروبي في العادات التونسية: المجلة الزيتونية ج 2 م 2 تونس، رمضان 1356، نوفمبر 1937 ص 172 - 175 .
- 81- عثمان الككاك : التقاليد والعادات التونسية ، الدار التونسية للنشر 1972 ص 105
- 82- L.Frank : Histoire de Tunis p : 99
- 83- هناك أمثال شعبية تونسية : الكف ما تعاند الاشقة / داز على الجبل بقادومة/ باروح مابعدك روح / تحت جناح ذبابة ولا رقدة الجبابة.
- 84- عدد للقرطين للكتاب 25 : انظر : خير الدين التونسي : أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، تحقيق المصنف الشنوي، ط 2 ، الدار التونسية للنشر المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1986 ص 232 - 290
- 85- خير الدين مملوك شر كسي الأصل "عثمان قنا ولحما ودميا"
- A.Bouhdiba: à la recherche des normes perdues, Tunis, 1969, p: 9
- <http://Archivebeta.Sakhrit.com>
- نقلا عن " أقوم المسالك " المذكورة أعلاه ص 42
- 86- أقوم المسالك ص 89 - 96
- 87- إتحاف ج 4 ص 44
- 88- إتحاف ج 4 ص 176
- 89- إتحاف ج 5 ص 44 ، 110 ، 113
- 90- المجلة الزيتونية ج 4 أبريل 1939 ، المجلد 3 ص 194 - 198
- 91- أحمد الطوبسلي : دراسات ووثائق عن الحركة الإصلاحية بتونس ، مؤسسة سعيان للطباعة والنشر تونس 1992 ص 45 - 46 حديث عن اللواء / العلم التونسي رغم أنه نسخة من العلم العثماني التركي، والوطن)
- 92- الإتحاف ج 1 ص 85 - 86 وج 5 ص 12 وج 4 ص 262 وانظر أيضا : توفيق البشروش : مقال : القومية القطرية في تونس قبل الحماية ، الملتقى الأول للحاميين التونسيين والمصريين (الذاتية المصرية بين الوحدة والتنوع) تونس 12 - 17 أبريل 1978 ، الجامعة التونسية ، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية .
- 93- الإتحاف ج 5 ص 44

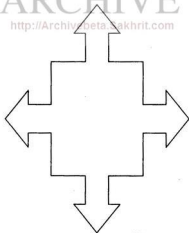
- 94- المعمرون الفرنسيون وحركة الشباب التونسي من 17 ، 24 ، 27 ، 38 ، 65 ، 66 ، 68 ... (مؤذجا)
- 95- عمر البري المدني : سيف الحق على من لا يرى الحق، المطبعة الأهلية تونس 1349 - 1931
من 58 ، 64 (عمر هذا طرد من وظيفته في السعودية فحاء تونس بحثا عن العمل فوظف في
النظارة العلمية بجامع الزيتونة)
- 96- حسن حسني عبد الوهاب : عمل تاريخ الأدب التونسي ، مكتبة المنار تونس 1968 من
306 - 303
- 97- العمال التونسيون وظهور الحركة النقابية من 35 ، 144 ، 146 ، 148 ، 153 ...
- 98- العمال التونسيون من 121 - 122
- 99- أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة ، الدار التونسية للنشر (دت) : تونس الجميلة من 24 - 25
، إلى الطاغية من 63 - 64 ، التي المهول من 145 - 149 ، للتاريخ من 224 ، إرادة
الحياة من 236 - 240 ، إلى الشعب من 246 - 249 ، إلى طفاة العالم من 260 -
261
- 100- جريدة : " النسيم " عدد 127 ، 26 مريم 1342 ، 1924
- 101- جريدة : مرشد الأمة : العدد 100 ، 30 ، ربيع الأول 1342 هـ
- 102- جريدة : الأتية ، العدد 50 ، 4 ربيع الثاني 1342 هـ ، 1924 م
- 103- مجلة البدر ، ج 3 م 3 ، 1342 ، 1923
- 104- زين العابدين البسنوني : الأدب التونسي في القرن الرابع عشر ، المجلد I 1927 ،
مطبعة العرب ، من 298
- 105- حياة الطاهر الحداد من 43 - 47 والجبلاني الفلاح : الشعب التونسي والتحسيس
تونس 1342 ، 1924 (حديث مسهب عن قضية التحسيس)
- 106- المعمرون الفرنسيون وحركة الشباب التونسي من 83
- 107- نفس المرجع من 91
- 108- نفس المرجع من 93
- 109- نفس المرجع من 95
- 110- نفس المرجع من 106
- 111- نفس المرجع من 132 وعبد الفاضل ابن عاشور : الحركة الأدبية والفكرية في
تونس، النشرة 3 الدار التونسية للنشر 1983 من 268-272 قد نقل لنا نصا طويلا لعمد
بن الأمين الخالصي يماور فيه راية فرنسا حوار ولهان هائم بفرنسا وحضارها واستعمارها
التبويري الصمديني.
- 112- حياة الطاهر الحداد، الدار العربية للكتاب ليبيا تونس 1977 ط 3 من 80
- 113- الإتحاف ج 7 من 149 وج 8 من 80
- 114- Y a-t-il une nation Tunisienne.ch. lareyne (Tunis)

- socialiste 6/11/1924) الشيوعيون التونسيون ومسألة الأمة، منشورات الحزب الشيوعي التونسي 1945 ؟ (الشرة لا تحمل تاريخاً)
- 115- علي بلهوان: نحن أمة مراجعة وتقدم وزهر اللوادي، طبع شركة فنون الرسم والنشر والصحافة القصصية تونس(دت) ص 41
- 116- نفس المرجع ص 42
- 117- نفس المرجع ص 44
- 118- نفس المرجع ص 49
- 119- محمّد السنوسي: مسامرات الطريف ج 2 ص 212 (في حال تحقيق من قبل محمّد الشاذلي البغر)
- 120- إتحاف ج 7 ص 111-112 وجزء 8 ص 77-78
- 121- البشر بن سلامة: النظرية التاريخية في الكفاح التحريري ص 56 نشر وتوزيع مؤسسات ابن عبد الله 1977، والشخصية التونسية، صفاها ومقوماتها، مؤسسات ابن عبد الله 1974 ص 17
- 122- البشر بن سلامة: اللغة العربية ومشاكل الكتابة، الدار التونسية للنشر 1971 ص 136
- البشر بن سلامة: الشخصية التونسية، مختصاتها ومقوماتها ص 126 مؤكداً رأيه السابق بقوله: "أديب قرطاج... سيقى إلى أبد الأبد في ذهنه وأسلوبه آثار لغته الأم... ووفاء لا شعوري لأجداده الترماجيين والبربر"
- 123- نفس المرجع ص 136
- يسرى البشر بن سلامة أنّ السّنة الأدبية الإفريقية التونسية هي أنّ الأدباء طوّروا "اللغة" العامية التونسية قديماً وحديثاً فأبدعوا وأنّ اللهجة العامية مقوم من مقومات الشخصية التونسية (الشخصية التونسية ص 17) ويرى آخرون منهم الحبيب بورقيبة والمهدي البالغ أنّ العامية لغة قومية يجب أن تصبح لغة الإدارة والأدب(المهدي البالغ: الخصوصيات اللغوية والثقافية، الذاتية العربية بسين الوحدة والتنوع، الملتقى الأول للجامعيين التونسيين والمصريين تونس 12-17 أبريل 1978 ص 79-80 والحبيب بورقيبة: الحفاظ على الوحدة القومية، خطب جزء 24 لشريات وزارة الإعلام 1976 ص 209)
- 124- نفس المرجع ص 137-159+158+138 وانظر أيضاً: بحلة الفكر، عدد خاص بابن رشيق، السنة 20 العدد 8، ماي 1975 مقال لنفس المؤلف: ابن رشيق الأديب الأفرقي ص 4-14
- 125- إتحاف ج 7 ص 114-115
- 126- محمّد مزالي: مواقف، الشركة التونسية للتوزيع 1973 ص 25-26
- 127- نفس المرجع ص 37-38

- 128 قد تكون أصيلة الإنكشارية الأتراك (انظر حسن حسني عبد الوهاب: بحمل تاريخ الأدب التونسي ص 327: ترجمة محمود بورقيبة)
- 129 د. سعد غراب، العامل الديني والهوية التونسية، الدار التونسية للنشر 1990 ص 15
- 130 عبد المجيد النجار: صراع الهوية في تونس، شركة ديجيتال للنشر والطباعة (دت) ص 19
- 131 الحبيب بورقيبة : خطب الجزء : 10 ص 47-50، نشرات كتابة الدولة للإعلام تونس 1978 (مؤذجا)
- 132 المعمّرون الفرنسيون ص 116 (قول لعالم اجتماع وأحد أصدقاء الشيخ عبد العزيز النعالي)
- 133 Albert Dauzat: Les noms de personnes: origine et évolution, librairie de Lagrave , Paris 1925 p:58
- Eusebe Salverte : Essai Historique et philosophique sur les noms d'hommes, des peuples et de lieux, Paris, Bossange, père librairie 1824 p 334-335

ARCHIVE

<http://Archivebeta.sakhril.com>



أدب الرحلات في العصر الحديث

(2)

بقلم: محمد الأصفر المحامي

كما أن كلا من خير الدين وقبله أحمد ابن أبي الضياف، قد دلا على إطلاعهما على أول أثر لأدب الرحلات العربي في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي أي كتاب "تخليص الأبريز..." لرفاعة الطهطاوي حيث أحال عليه خير الدين حين تحدث عن التعليم في فرنسا مثلما سبقت الإشارة إليه، فما معنى تلك الإشارات التي تريد القول أن ملهم رجال الإصلاح في تونس الأساسي، وربما الأوحيد، إنما هو الشيخ محمود قبادو، كما سبق بيانه، أو القول أن المصلحين في تونس قد ارتبطوا بالشيخ محمد عبده ولسان حالهم لا يبقى على أية علاقة مع غيره من المصلحين، وكنا قد برهنا على خلاف ذلك، أي على قيام الرابطة الواضحة مع نصوص أدب الرحلة، وتحديدًا مع كتاب الطهطاوي "تخليص الأبريز".

● إصلاحات الوزير خير الدين التونسي في تونس

أن خير الدين التونسي، سابق الذكر، الذي حل بتونس في السابعة عشرة من عمره قد درس في قصر باردو، أي في المكتب الحربي بباردو، فقد درس الفنون العسكرية الحديثة على المدرسين الأجانب، وكانت رتبته أذاك آلاي أميني (قائد أول للخيالة) وهو نخلة الوصل أو ضابط الاتصال بين سيده أحمد باشا باي، سابق الذكر والمشرفين على المكتب المذكور. وقد ارتبط، بالفعل بالشيخ محمود قبادو، المعروف بأفكاره التقدمية

والذي كان مدرسا بالمكتب الحربي المذكور.
كما تولى خير الدين وزارة البحر، سنة 1857.
وتولى رئاسة المجلس الأكبر، سنة 1861 والذي كنا تحدثنا عنه في باب المجالس.

وقد تولى الوزارة الكبرى وهي رئاسة الحكومة التونسية، سنة 1873 وفي سنة 1878 هاجر من تونس إلى الأستانة حيث بلغ عظمة "صدر أعظم" أي رئاسة وزارة السلطان العثماني.

وأثناء توليه المسؤولية العليا في تونس حاول تحسين الإصلاح على أرض الواقع فإذا كان من العادي أن يصلح إدارة البلاد وماليتها مركزيا وجهويا "فإنه قد أصلح أيضا جهاز القضاء، كما أنه عالج قضايا قانونية مثل الجنسية والحماية التي كانت القنصليات الأجنبية تستند بها للمواطنين التونسيين وخاصة اليهود منهم لنتج عن ذلك عدة نتائج تطعن في السيادة التونسية، إلا أنه ومن أهم أعماله إصلاح التعليم إصلاح إذ قد قام بإصلاحات جذرية للتعليم الديني الزيتوني وأحدث تعليما عصريا، بإنشاء "المكتب الصادقي" الذي أراد أن يعوّض به المكتب الحربي بباردو الذي تخرّج منه هو وأصحابه الضباط المصلحين أمثال أمير الأمراء حسين (1887م) وأمير الأمراء رستم (توفي، سنة 1886 م)، وغيرهما...

- إصلاح التعليم الديني (الزيتوني)

لقد صار جامع الزيتونة الأعظم الواقع تأسيسه سنة (114 هجرية / 732 ميلادية)، وصار جامعا جامعة Mosquée / Université بداية من القرن الثالث هجري / العاشر ميلادي، وكان يدرس كل العلوم التقليدية، على غرار جامع الأزهر في القاهرة، وجامع القرويين بفاس (المغرب) وغيرهما...

فتعلقت همّة الوزير خير الدين بتعصير التعليم الديني الزيتوني، فكوّن لجنة إصلاح وعقّضى منشور 26 ديسمبر 1875 صار المعهد العتيق يدرس علوماً عصرية إلى جانب العلوم الشرعية مثل الحساب، والمهندسة والهيئة والمساحة. ومن هذا الإصلاح يتضح لنا توجه التعليم الديني إلى الاقتراب من التعليم العصري الذي كان خير الدين نفسه قد تلقاه في المكتب الحربي بباردو، مع وجود فارق وهو عدم تدريس اللغات الأجنبية بما فيها التركية في جامع الزيتونة المعمور.

- إحدات المكتب الصادقي

في سنة 1875 فتح المكتب الصادقي، الذي أسّسه ووضع برامجه الوزير خير الدين، وهو أشبه بالمكتب الحربي بباردو وأقل صبغة عسكرية منه لأنّ المكتب الصادقي مدنيّ بالأساس. بينما كان المكتب الحربي بباردو عسكرياً في جوهره والمكتب الصادقي هو مؤسسة تعليم عصري، ويتضح لنا ذلك من المواد التي كان يدرسها التلميذ الصادقي وهي إلى جانب المواد الدينية التي لها حظها في التعليم العصري الصادقي أيضاً ... وهي :

التاريخ واللغات التركية والفرنسية والإيطالية والرياضيات (الحسابيات) والفيزياء والكيمياء والجغرافيا وعلوم الطبيعة، ولعل أهم الإصلاحات التي قام بها خير الدين في تونس هي إصلاح التعليم تحديداً، ذلك أنه سيكون وراء نهضة حقيقية ستصل اتصالاً متيناً ومباشراً بين نهضة البلاد وغوضها للمعركتين الكبيرتين معركة الاستقلال من ربة الاستعمار الفرنسي، ومعركة التقدم وبناء الدولة العصرية بعد الاستقلال... كل ذلك

في ترابط للحلقات قد كان أدب الرحلات العربي للقرن التاسع عشر مع رائده الطهطاوي قد شكل أولى حلقاته .

ومن أهم روافده تلك العلاقة المباشرة بين خير الدين التونسي وأستاذه الشيخ المصلح محمود قبادو وكذلك علاقته المباشرة منذ شبابه بالوالي أحمد باي تونس، صاحب المبادرة المتمثلة خاصة في بعث المكتب الحربي بباردو التي تخرّج منه الوزير خير الدين، إلا أن هذه الفرص كلها لم تمنع خير الدين من الاستفادة، من كتاب الطهطاوي "تخليص الأبريز" في عدة ميادين، وخاصة منها، ميدان إصلاح التعليم وقد رأينا خير الدين يشيد بتأليف الطهطاوي ويحيل قارئ كتابه "أقوم المسالك على كتاب الطهطاوي تخليص الأبريز مهلاً ومكراً بالتأليف ومؤلّفه".

ثالثاً : غياب أصداء أدب الرحلات العربي في العصر الحديث في البعض من أدب الرحلات اللاحق زمانياً
<http://Archivebeta.Sakhrif.com>
 ثالثاً، (1) هل هو التجاهل لأدب الرحلات الداعي إلى التقدم أم هو الحنين إلى التقاليد الراسخة ؟

إن الرحلات إلى الحجاز، التي لا تشبه رحلة السنوسي "الرحلة الحجازية" سابقة الذكر قد تواصلت في العصر الحديث مثل رحلة أحمد بن قاسم بن محمد ساسي البوني، المسماة "الروضة الشهية في الرحلة الحجازية" وقد قام بها سنة 1762م أم تلميذه ابن عمار أبراس، فقد دون رحلته إلى الحج سنة 1811، تحت عنوان "فتح الإلاه ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته".

فالملاحظ أن هذه الرحلات كلاسيكية الأغراض والمبنى والمعنى والشكل والجوهر قد كانت سابقة بالمعنى الزمني، عن رحلة الطهطاوي "تخليص

الابريز" فطبيعي الاعتراف التغيير أو الاتجاه نحو الدعوة على الأخذ بأسباب التقدم...

أ- رحلات الغيرة الإسلامية :

تجدر الإشارة إلى أنه توجد رحلات لاحقة عن رحلة الطهطاوي زمانيا، وقد حافظت على الطابع التقليدي والاتباعي لأدب الرحلات، إلا أنها قد امتازت، بالحنين أو البكاء على الأطلال، وهي رحلات إلى الأندلس وصقلية المستعمرتين من طرف النصاري بعد أن وقع ضمهما إلى بلاد الإسلام... أو أنها رحلات قد امتازت بالدفاع عن النظم الإسلامية.

* الرحلة الأندلسية :

أن ثلاثة تونسيين على الأقل، وهم علي الورداني (1861-1914م) وسعيد أبي بكر، سابق الذكر، وأحمد الطويلي قد أنجزوا رحلة إلى الأندلس ولم يأتوا من خلالها بمجديد لأنها رحلات موجهة غرضيا نحو وجهة معينة وهي البكاء على الأطلال، كمظهر من مظاهر الغيرة الإسلامية.

✻ رحلة علي الورداني (أندلسية)

لقد اكتفى علي الورداني في رحلته الأندلسية، التي نشرها جريدة "الحاضرة" على حلقات منذ إعدادها الأولى (سنة 1888م) وقد منذ نشرها إلى سنة 1890.

وكما سلف أن لاحظنا فقد كانت رحلة تحسّر وبكاء على الأطلال، وتحيج للمشاعر والغيرة الإسلامية حيث يقول حين وصل إلى الحدود الفرنسية الإسبانية "... إذا تخلل الإنسان بين هذه الجبال الشاهقة العديدة وتدبر في أحوالها يظهر له جليا أن هذه الموانع الطبيعية هي السبب الذي أنقذ أوروبا من هجوم العرب على بلادهم".

ثم عندما يدخل البلاد الاسبانية يقول ما يذكرنا بكلام الراهبين اليرتستانيين، ايفالد، وبارت، سابقي الذكر، حين زارا الآثار الرومانية بمدينتي قرطاج والجم في البلاد التونسية حيث يقول علي الورداني : "ثم قضينا العجب من آثار ملوك العرب، وخرجنا مودعين هذه القصور العالية أو هي الرسوم الخالية بل الطلول المطلوبة البالية ذات العبر الباقية والآثار الباكية وتذكر حديث ذلك العهد".

وقد تكرر ذلك من علي الورداني في كل جهة من جهات الأندلس التي زارها، وخاصة منها مدينة "قرطبة" التي "رثاها" شعرا حيث يقول :

"لا أنت آية، لا الديارد يار

خف الهوى نقضت الأوطار"

والسؤال الذي يفرض نفسه، هو أنه من المعلوم أن علي الورداني، قد كان من أقرب تلاميذ الدفعات الأولى بالمكتب الصادقي من الوزير خير الدين التونسي، صاحب واحد من أهم كتب رحلات العرب في العصر الحديث فلعله الموالي في الترتيب الزمني والأفضلي مباشرة بعد "تخليص الأبريز" للطهطاوي .. فلا نشك لخطه واحدة في سنة مطلع على كتاب "أقوم المسالك" لخير الدين، ... ورغم ذلك فإن رحلته الأندلسية لم تتخط عتبات "البكاء على الاطلال" او الحديث عن أشياء من مشمولات أدب الرحلات الكلاسيكي، مثل حديثه عن "صراع الثيران" و"الكوريدا" التي أشهرت بها اسبانيا!!!!

✻ رحلة سعيد أبي بكر (أندلسية)

لئن زار سعيد أبو بكر (1899 م - 1948م) مدن اشيلية وقرطبة والزهاء وغرناطة والجزيرة الخضراء وجبل طارق، الا أن الجزء الأول من

رحلته، الذي تمكن من نشرة قد تحدث فيه عن اشبيلية وقرطبة لما لم يبرز الجزء الثاني من رحلة الأندلسية، الموعود به... والجزء المنشور الموسوم بـ "دليل الأندلس أو الأندلس كما تراه" واقع في 96 صفحة

لقد اتبعت رحلة أبي بكر إلى الأندلس الأسلوب التقليدي فقد عرف بمدينة اشبيلية ووصف معالمها كقصر بني عباد .. إلا انه لا يتسنى له أن ينسج على منوال على الورداني في البقاء على الاطلاع، وذلك بقوله "... ووصلت أخيراً إلى صحن القصر وتلك أول نظرة وقعت مني على ما خلفه أجدادنا العرب في البلاد الأندلسية" ولا يتخلف أبو بكر عن استخلاص العبر فيعقب على مشاهداته لمعالم مدينة اشبيلية الأندلسية متحسراً وقائلاً "يجب على كل عربي أن يقف موقف الاعتبار" لا بل إنه يطلب من جميع العرب توخي سلوك على غاية من السلبية، وهو الكامن في قوله "ويجب على كل عربي ... أن يكي على أجداده وعلى تلك الأمور التي آلت بمملكتهم للخراب".

✧ رحلة أحمد الطويلي الأندلس

ماذا يعني الأستاذ أحمد الطويلي بقوله "الأندلس في القلب" هل هو الشكل الآخر للحسرة على ضياع الأندلس إلا أنه من الأكيد أنه ليس من البكاء الصريح على الاطلاع.

✧ رحلة محمد ليبب بتتوي

أما عن المشاركة فإننا نشير إلى رحلة بنفس العنوان (الرحلة الأندلسية) للبيب البتتوي، الواقع طبعها ونشرها في مصر سنة 1927.

♦ رحلة إلى صقلية :

✻ رحلة عثمان الكعاك (الصقلية)

من المعلوم أن جزيرة صقلية قد كانت أيضا الحقت بالبلاد الاسلامية خلال المدة المتراوحة من سنة 832 م إلى 1056م وكانت بالرمو إحدى مدن هذه الجزيرة التي كانت تشكل إمارة مستقلة ضمن الفضاء الثقافي والجغرافي الايطالي.

والاستاذ عثمان الكعاك (1903م - 1976م) من المهتمين بالتاريخ والحضارة والثقافة، وقد تعددت تأليفه، كما تعددت اللغات التي كان يتقنها او يعرفها أو حتى يلم بها الماما .. فهو يعرف إلى جانب اللغتين العربية والفرنسية اللغات الفارسية والحميرية ... وقد كان إهتم من جملة ما اهتم به من الباحث، مبحث الحضارة العربية في الجزر المتوسطية" وليست صقلية سوى جزيرة متوسطية... وقد صدر عنه في السجل نفسه تأليف بعنوان "بالرم كأنك تراه"

لقد كان الأستاذ عثمان الكعاك خلال زيارته لبالرم يبحث عن الآثار العربية فيها، من قصور وشوارع ومساجد وجسور وبساتين ودور... ولقد رأى فيها شواهد على الحضارة الافريقية (نسبة إلى افريقية Barbarie وهي تونس" وليس نسبة إلى افريقيا وهي القارة السمراء L'Afrique).

وقد زار الجامع الأعظم الذي صار كاتدرائية كبرى" وقد قال "الجامع الأعظم بالأمس هو الكنيسة الكاتدرائية اليوم، إذا نظرت إليه عجبت من جمال مجموعة ... أعمدة صنهاجية منقوشة فيها آيات قرآنية

... ومناثر أربع لا تختلف من حيث ثروة زخارفها عن منئذة الجامع الكبير باشيلية.."

إلا أنه قد كان أقل طابع درامي في البكاء على الاطلال من سابقه وقد علق على المرسى بقوله : "...فهل أن هذه السفن الشراعية المرسية هي الاسطول العربي الفاتح، أم هي الأسطول النورمانى الغازي، أم هي أسطول هجرة العرب إلى إفريقيا بعد خروج حكم الجزيرة من أيديهم"

◆ رحلة الدفاع عن نظم الاسلام

ب- رحلات وأغراض دينية مختلفة

✕ رحلة الحجزية

لقد استمرت الرحلة الحجازية بمعانيها الروحية المعتادة بعد الانقلابي الذي عرفته وجهة أدب الرحلات، بعد رحلة الطهطاوي إلى باريس ورحلة الطنطاوي إلى روسيا، ففي هذا الاتجاه نفذ أحمد. كرد علي رحلة تحت عنوان "الرحلة الأنورية إلى الاصفاع الحجازية والشامية"، سنة 1916 أيضا يقوم أيضا برحلة حجازية.

يتبع

دور المؤثرات التربوية والاجتماعية

في الإبداع وتنميته

بقلم : حواس محمود

- سوريا -

إنّ تاريخ تطوّر البشرية حتى يومنا الراهن صنعتها العقول المبدعة والخلاقة، هذه العقول التي سلكت دروبا مضنية وشاقة من العذابات والتحمل والمثابرة حتى وصلت إلى آفاق منيرة ومضيئة، أفسحت المجال أمام البشرية لتخطو خطواتها إلى الأمام عبر مسيرة حافلة بالعطاءات المتقدمة والمساهمة في تقدم المجتمعات البشرية وتطورها نحو الحضارة والرقى، وبالأستناد إلى ذلك لا بد لنا من فهم كنه المبدعين والعملية الإبداعية عبر تناول العوامل المؤدية إلى الإبداع وبنفس الوقت العوامل المعرّقة له، سنتناول في هذا البحث دور المؤثرات التربوية والاجتماعية في الإبداع وتنميته.

وقبل تناول دور المؤثرات التربوية والاجتماعية في الإبداع والمبدعين لا بد لنا من تعريف الإبداع والتفكير الإبداعي.

الإبداع والتفكير الإبداعي:

الإبداع: هو إنتاج شيء ما، على أن يكون هذا الشيء جديدا في صياغته وإن كانت عناصره موجودة من قبل، ويعرفه "بول تورانس"

بأنه "عملية التحسس بالمشكلات والنقائص والثغرات في المعرفة والعناصر المتقدمة وعدم التناسق وغير ذلك، ثم تحديد الصعوبة وتبين هويتها، ثم البحث عن الحلول وإجراء التخمينات أو قل إذا شئت صياغة الفرضيات عن النقائص والعيوب، ثم اختبار هذه الفرضيات وإعادة اختبارها. وأخيرا صياغة النتائج ونقلها" ويتجلى الإبداع من خلال السلوك ويشمل السلوك الإبداعي فيما يشمل الاختراع والتصميم والاستنباط والتأليف والتخطيط والأشخاص الذين يظهرون مثل هذه الأنواع من السلوك وإلى درجة واضحة هم الذين يوصفون بالمبدعين.

أما بالنسبة للتفكير الإبداعي: يمكن القول بأن التفكير الإبداعي في أساسه تفكير افتراضي (أو تخييري) يتميز بالبحث والانطلاق في اتجاهات متعددة، أي هو يتميز بالتعامل بطرق ابتكارية/طريفة مع الرموز اللغوية والرقمية وعلاقات الزمان والمكان، وهذا النوع من التفكير التخييري هو ما غفلت عنه اختبارات الذكاء الشائعة، ومما يهم هنا أن نفهم أن ثمة عدم تطابق بين مفهوم الذكاء التقليدي المعروف ومفهوم الإبداع، ونذكر أن التحصيل المدرسي يعني بوجه عام بالنسبة للطفل الحفظ والتذكر والمطالعة والحساب والعلوم.

دور المؤثرات التربوية والاجتماعية في الإبداع والمبدعين:

يعتبر الوسط الاجتماعي بمثابة التربة التي يغرس فيها الإبداع، فإن كانت هذه التربية غير خصبة، ولا تتوفر فيها شروط الحياة الضرورية، فلنما

بدون شك ستؤثر في كل أعضائها وتعمل على تحديد مستواهم الفعلي والإبداعي، فالمبدعون لم يخلقوا من العدم ولا يأتون من الفراغ، أهم نتيجة مراس طويل وتربية شاقة، فالنشء كي يصبح مبدعاً لا بد أن يمر بمراحل اجتماعية مختلفة حتى يبلغ مرحلة الإبداع الحقيقية، وتقف حواجز وعوائق كثيرة دون ذلك خاصة في المجتمعات المتخلفة التي تعاني من أزمات حادة على جميع المستويات، والعملية الإبداعية وإن بدت فردية وتتعلق بشخصية المبدع، إلا أن ارتباطها بالمجتمع وثيق وصلتها به قوية، فإذا لم يوفر لها المجتمع الرعاية والعناية اللازمة اضمحلت وانتهت. ولعل المقصود بالموثرات التربوية والاجتماعية، ما يلي: الأسرة، النظام التربوي، البيئة الاجتماعية، وستتناول هذه الموثرات كل على حدة...

أولاً: دور الأسرة: تلعب الأسرة دوراً محورياً وأساسياً في حياة الطفل، وهذا الدور تقوم به إما أن يكون إيجابياً في نمو الطفل العقلي والعاطفي والإبداعي، أو يكون سلبياً فتصبح الأسرة أحد معوقات الإبداع ابتداءً من الطفولة وانتهاءً بالشباب، فكيف تصبح الأسرة أحد معوقات الإبداع في المجتمعات العربية؟ بداية يمكن القول بأن الطفل يمرّ بمراحل مختلفة من النمو العاطفي فإذا لم يتم التعامل في كل مرحلة على حدة بما تتطلب تلك المرحلة من عناية واهتمام خاصين بها، وتم القفز على مرحلة أو أكثر بما يسمى بـ (حرق المراحل) والتعامل مع الطفل على أنه شخص بالغ، فإن هذا يؤدي إلى إعاقة نمو الطفل عاطفياً وعقلياً وإبداعياً، والصراع الكبير يحدث عندما تنمو عبقرية الطفل وتصطدم

بحاجز معارضة الأسرة لهذا الشيء الطارئ في نظرها "الأسرة" عن طريق الأسس والقواعد التقليدية الصارمة والشديدة التي تضعها الأسرة والتي تقوم بقولية الأطفال على غمطها الخاص، وباعتبار أن الإبداع كإبداع يعني خروج المبدع من القواعد والأنماط المألوفة والسائدة لذلك يجد معارضة قوية من طرف تلك القواعد وتكون النتيجة هي قتل الموهبة الإبداعية، ومحاولة إخضاعها للقواعد المألوفة والقيم المعروفة، كما أن علاقة الطفل العربي بأسرته إما أنها علاقة انفعالية يسودها الحب الزائد من طرف الأم أو أنها علاقة قهرية تسلطية من طرف الأب، وفي كلتا الحالتين فإن الجو الأسري السائد لا يساعد على تنمية روح المبادرة والإبداعية عند الأطفال.

فالآباء المستبدون يقتلون روح المبادرة والمغامرة في أبنائهم، فقد بينت دراسة قامت به "الزافرنكل وزملاؤها" أن الأطفال الذين كانوا خاضعين لآبائهم كانوا أيضاً متقبلين للأيديولوجيات التسلطية كما أن "شتاين" يفترض أن هذا الخضوع إذا بلغ أقصاه فإن الفرد سيجد صعوبة في المغامرة ويظل يتعامل فقط مع ما يثبت صلاحية ويتجنب كل ما هو جديد.

إن التعامل مع الطفل بصورة فوقية تسلطية من شأنه قتل روح الموهبة والإبداع لديه إذ يشل تفكيره وتحبط مبادراته وتغلق جميع محاولاته الإبداعية.

ثانياً: النظام التربوي: تساهم المؤسسة التربوية والتعليمية أيضاً في عرقلة

النمو الإبداعي عند الطفل إذ أن النمط السائد من التعليم هو نمط تقليدي تلقيني تخزيني، وتغيب أجواء المشاركة الحوارية وتحفيز الأسئلة وتحريك الأذهان وكشف مكامن الإبداعية والإدراكية لدى الطفل، إن المعلمين والمدرسين الذين يقومون بأداء العملية التربوية والتعليمية يعجزون (بسبب النظام التربوي السائد) عن الوصول إلى أفئدة وعقول الأطفال الصغار إلا من خلال القمع، وتحول الدراسة إلى عملية تدجين تفرض على الطفل كي يكون مجرد أداة راضخة، يتم ذلك بالطبع تحت شعار غرس القيم الخلقية قيم الاحترام والطاعة والنظام وحسن السيرة والسلوك، ولا يسمح للتلميذ أن يعمل فكره وعقله وأن ينتقد ويحلل ويتخذ موقفاً شخصياً، هذه النماذج المتكاملة التي يتلقاها التلميذ في المدرسة يحولها إلى نمط سلوكي دوغما تفهم أن نقد، وفيما هو يفعل ذلك يعتاد رؤية الأشياء وتقييمها بصورة تدعم نزعة الامتثال والاستجابة السريعة، وتضعف طاقة الإبداع والتجديد، وبذلك فإن طاقات الإبداع والتجديد يجري توجيهها نحو أشكال في التفكير والتصرف، مما يساعد بدوره على تعزيز نزعة الامتثال.

وفيما يتعلق بمستوى البرامج فإننا نجد أنها مفروضة على التلميذ، وغالباً ما تكون بعيدة عن واقعه وبيئته وأسلوب حياته، وهناك ثمة تناقض بين ما يتلقاه التلميذ من معلومات وبين واقعه الاجتماعي لأن معظم ما يتلقاه يعالج قضايا الطبقة المسيطرة، أما فيما يتعلق بالامتحانات فإنها تحتم بما يحفظه الطالب في ذاكرته خلال سنة دراسية كاملة أو نصف

سنة دون الأخذ بالاهتمام المستوى الصحي للطالب وإمكانية تعرضه لمرض يعيقه من تقديم الامتحان أثناء مرضه أو وجود مشكلة اجتماعية في المنزل، فيقع الطالب في غبن أكيد نتيجة لعدم تقدير الوضعية الاقتصادية والاجتماعية والتربوية للطالب وأسرته، إذ تكون نتيجة الامتحان عبارة عن تقدير لاختبار ساعتين أو ثلاث أثناء تقديمه لامتحانه لاختبار تحصيله الدراسي عن سنة كاملة.

ثالثاً : البيئة الاجتماعية: البيئة الاجتماعية تعزز ثقافة وقيم وعادات، إما أنها تعمل على نمو الإبداعية فيها وازدهارها، أو تعمل على عرقلتها وتراجعها وانتكاستها، إن العامل الأساسي والحاسم في تطور الذكاء والوصول به إلى درجة الإبداعية يتمثل في التربية والتنشئة الاجتماعية التي يتلقاها الطفل من بيئته الاجتماعية، فالطفل الذي يولد بمستوى عال من الذكاء والفطنة في بيت فقير لا يتوفر على أدنى حد من مستوى المعيشة ولا على الجو الملائم لنمو ذكائه وإبداعه هذا الطفل لو قمنا بقياس مستوى ذكائه (الذي كان مرتفعاً عند ولادته) وجدناه بعد عدة سنوات لا يتمتع بأي نوع من الذكاء لأن البيئة الاجتماعية أصابت ذكائه بالتلف والعطب، ويمكن الإشارة إلى وجود دراسات وأبحاث أجراها الباحثون حول علاقة الإبداعية والذكاء بالبيئة الاجتماعية فقد توصل "أ.رجيليد لاند" إلى أن الحياة الاجتماعية للوليد ذات أثر هام على قدرته العقلية فيما بعد، فلكي ينمو ذكاء الوليد إلى أقصاه لا بد له من الكثير من الاتصالات بالناس والبيئة المادية وباللعب، وبالنسبة للبيئة

العربية فهي تذر بالموهوبين والمبدعين، لكن هناك عوامل متشعبة ومتداخلة كلها تلعب دوراً في عملية الإبداع، ونظراً لأن المثبطات أكثر من المشجعات والحوافز أكثر من أن تعد وتحصى لذلك تموت هذه المواهب وهي في الطريق أو في بداية المشوار.

ففي دراسة قام بها الباحث هشام شرابي حول علاقة التربية العائلية وسلوك الفرد الاجتماعي في المجتمع العربي المعاصر توصل إلى النتيجة التالية: أن الصفات المميزة لسلوك الفرد في المجتمع العربي يمكن حصرها بثلاث صفات أساسية هي الشعور بالعجز، القهر، الاعتماد على الآخرين، أي أن الشخصية التي يهدف إليها المجتمع وينتجها بواسطة العائلة والمؤثرات الاجتماعية الأخرى هي شخصية تتسم برضوخها للسيطرة والتهرب من المسؤولية والالتكالية، إن هذه الشخصية ترتبط في ولائها بالعائلة والعشيرة وهي في سلوكها العام تستسلم للقوى الفاعلة في المجتمع.

وهكذا يتضح لنا بجلاء الدور الفعال والمهم للبيئة الاجتماعية التي إما أن تكون عامل تحفيز على نمو الإبداعية أو عائقاً في وجه ذلك النمو، والنتيجة التي انتهت إليها الأبحاث هي: أنه لا بد أن تكون الإمكانية العقلية نقطة البداية، ولكن نمو هذه الإمكانية حتى تصبح قدرة فعلية يتوقف على البيئة وبخاصة أثناء الطفولة.

تنمية الإبداع:

يؤكد المحلل النفسي للأطفال وأستاذ علم النفس في جامعة شمال

باريس سرج ليوفيتشي أن لكل طفل قدرات في سن مبكرة جدا حتى الجنين يملك قدرات وهو في أحشاء أمه من شأنها ان تسهم في تربيته إذا حسن التعامل معه، وفي الحقيقة ان تنمية مواهب الطفل لا بد من أن تبدأ في سن مبكرة جدا ومنذ الولادة فالطفل يمكنه ان يتعلم بسرعة كيف يتعامل مع الأشكال والألوان، ومنذ الشهر الخامس يمكنه أن يلتقط الأشياء ان كل طرائق التعليم والتربية الخاصة بالأطفال يجب أن تكون معروفة من جانب الأهل، وأن يطبقوها ضمن برنامج التربية اليومية من أجل ان يتيحوا تفتح شخصية الطفل وبروز مواهبه، إن كثيرا من المواهب تضيع إما بسبب جهل الأهل بقدرات طفلهم الدفينة، وإما بسبب ظروف الأهل الحياتية السيئة، أو بسبب إهمال إيقاظ مواهب الأطفال بالعناية المناسبة والترقية الساهرة (كما مر معنا).

وثمة مشكلة رئيسية هي الأهم، فالاجتماع لا يفكر عموما في الطيف الواسع للقدرات والمواهب الإنسانية بطريقة إيجابية بحيث يتيح تطورها، ولم يعرف القرن المنصرم الاستفادة واستعمال القوى الروحية المنبثقة عن طريق التربية والثقافة إلا معرفة متواضعة شأن القرون الغابرة في محاولتها الاستفادة من القوى الفيزيائية المادية، خصوصا إن الإنسان يوضع الآن في أدوار محددة تماما في نطاق البنى المبرجة سابقا والتي لم يشارك شخصا في تخطيطها (مفكر عنه) ولهذا السبب بالذات يستمر المجتمع في تشغيل الملايين من الرؤوس النيرة في مستوى أدنى بكثير من مستواها الحقيقي وبذلك يتكون الإنسان المنمط ذو البعد الواحد (سرير

بروكوست).

إنّ الأساليب التي تمارس والخطط الموضوعة للعملية التعليمية في العالم العربي (كما مر معنا) تتبع أسلوب التلقين والحفظ أي التعليم الحفظي أو "البنكي" حسب د. سعيد إسماعيل علي، ولا تشجع التعليم الاكتشافي أو الابتكاري وهذا يضعف الإبداع إن لم نقل يقفله، وهناك طريقتان رئيسيان تستطيع المدرسة أن تزيد وفقا لهما في قابليات الأطفال الإبداعية أولهما: أن تتيح المدرسة للأطفال خبرات تربوية خاصة من أجل التدريب على التفكير المبدع أو المهارة في حل المشكلات بقطع النظر عن المواضيع المدرسية السنوية، والطريق الآخر هو توليد روح إبداعية لدى الطفل في المدرسة وتبني طريقة في التعليم تجريبية وخلاقة ومفتوحة وذلك في كل مجال، ويقترح تورانس عام 1968 م الخطوط التالية في العمل إذا أردنا خلق مناخ مدرسي لخلق المواقف والقابليات الإبداعية:

- 1- احترام الأسئلة غير العادية.
 - 2- احترام أفكار الأطفال غير العادية.
 - 3- أظهر للأطفال أن أفكارهم قيمة.
 - 4- أقدم فرصا للتعليم الذاتي وأقدره.
- والمعلم يقوم بتنمية الإبداع لدى الأطفال حين يترك لهم طعم حرية التفكير بأنفسهم بدلا من تزويدهم بحلول جاهزة للمشكلات المعروضة، ويمكن ذكر بعض القدرات الإبداعية التي يتوجب على المعلم الإلمام بها

بغية تدريب التلاميذ على ممارستها:

1- الحساسية للمشكلات: وتتلخص في القدرة على إدراك العيوب في الأدوات الشائعة أو النظم الاجتماعية أو في مواقف الحياة اليومية وما تتضمنه من أوجه النقص، أو هي القدرة على التفكير في تحسينات تحتاج إليها هذه الأدوات الشائعة أو النظم الاجتماعية أو مواقف الحياة اليومية.

2- الأصالة: هي القدرة على إنتاج أفكار أصيلة، والفكرة الأصيلة تلك التي تتميز بأنها (جديدة أو طريفة) ولا تعني حدة الأفكار أن أحدا لم يفكر فيها قبلا، فضلا عن صعوبة فحص أفكار كل الناس حتى لحظة صدور الفكر (الأصيلة) من شخص معين، إذ أن صدور إحدى أفكار الأصيلة عن أحد العلماء أو المفكرين بعد صدورها لا يعني أنها فكرة أصيلة.

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

3- المرونة التلقائية: ان حرية الوجهة الذهنية حرية غير موجهة نحو اتجاه محدد فيما يتصل بمشكلة محددة، والقدرة على تغيير مجرى التفكير وتوجيهه إلى اتجاهات جديدة بسرعة وسهولة بسبب واضح أو غير واضح.

4- الطلاقة الفكرية: وتعني بالأساس سرعة إبراز عدد كبير من الأفكار في أحد المواقف ولا يكون الاهتمام هنا بنوع الاستجابة (أو كيفها) بل بعدد الاستجابات، وتكون الاستجابة هنا عبارة عن أفكار وليست مجرد كلمات مفردة أو استدعاء لفظي..

وفي الختام :

يمكن التركيز على أن العالم العربي مقصر في مجال دراسة مواهب وإبداع الأجيال، إذ لا توجد حتى الآن إحصائية يمكن اعتمادها على نتائج اختبارات الذكاء والإبداع لدى الأجيال المتعاقبة ويمكننا أن نضم صوتنا إلى صوت الأستاذ عبد التواب يوسف (في مجال ضرورة الاهتمام بالإبداع وتنميته) لإنشاء مركز لدراسات الذكاء والموهبة والإبداع، ولا بد لنا من القول أيضا بضرورة تضافر جهود المؤسسات التربوية والتعليمية والثقافية والإعلامية لتشجيع وتنشيط العملية الإبداعية.

المراجع :

- 1- د. مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي، ط 1، معهد الإجماع العربي، بيروت 1976م، ص 121.
- 2- د. فاعر عاقل "الإبداع وتنميته" دار العلم للملايين، لبنان، بيروت 1975.
- 3- عبد اللطيف زرنه حي "السمات العامة للمبدعين والعباقرة عبر التاريخ" المعرفة السورية، عدد 386، نوفمبر 1995م، ص 38.
- 4- فواد أبو حطب، آمال صادق، علم النفس التربوي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط 4، 1994م.
- 5- مها زحلق "التربية الخاصة للمتفوقين" منشورات جامعة دمشق، ط 1، 1994م.
- 6- عبد الرحمن عيسوي "سيكولوجية الإبداع" الفصل عدد 204، نوفمبر 1993م، ص 48.
- 7- حسان الجليلاني "الإبداع والمنهج" المعرفة السورية، عدد 412، يناير 1998م، ص 78.
- 8- علي عبد اللطيف خطيب "التربية الإبداعية" الفصل - أغسطس سبتمبر 1994م، ص 98.
- 9- فرج قيسي "أطفال أذكاء وموهوبون لكن أغنياء" مجلة الشاهد، عدد 132، أغسطس 1996م، ص 58.
- 10- د. عبد الستار إبراهيم "هؤلاء المبدعون الصغار" العربي، عدد 246، مايو 1979م، ص 115.

تاريخ علم الوراثة في أجزاء

بقلم : ضياء بوكتيلا

باحث ومدرس في علم الوراثة (كلية العلوم بتونس/كلية العلوم بقفصة)

الجزء الثالث : هرمان مولر

مكتشف الإحداث الاصطناعي للطفرة الجينية

1) مقدمة :

لقد أدت أعمال توماس مورغان الشهيرة (التي كنا تعرضنا إليها في الجزء الماضي) إلى إنشاء أول خريطة جينية لدى أحد الكائنات الحية. تم نشر هذه الخريطة المرجعية في سنة 1913، واحتوت على ثلاثة جينات لذبابة الخلل (*Drosophila melanogaster*) تقع فوق الصبغي الجنسي X (Chromosome Sexual X). هذه الجينات الثلاثة هي التالية :

- جين "y" الذي يؤدي عند الطفرة إلى لون اصفر للجسم.
- جين "w" الذي يؤدي عند الطفرة، إلى لون ابيض للعينين.
- جين "m" الذي يؤدي عند الطفرة إلى أحنحة قصيرة.

تبرز الخريطة الجينية التي توصل إليها توماس مورغان (Thomas Morgan) ومعاونوه، مواقع هذه الجينات الثلاثة فوق الصبغي X وترتيبها والمسافات الفاصلة بينها.

ورغم بدائية هذه الخريطة، فان فضلها يتمثل في كونها فتحت

الباب على مصراعيه أمام انجاز خرائط مماثلة لدى العديد من الكائنات الحية، مما من شأنه أن يؤدي إلى معرفة اشمل بالآليات الوراثية، بالرجوع إلى عواملها الأولية أي الجينات.

(2) مبدأ انجاز الخرائط الجينية (Principe de réalisation des

: (cartes génétiques

يعود الفضل إلى توماس مورغان (صاحب النظرية الصبغية للوراثة : (La théorie chromosomique de l'hérédité) في تعريف الجين بصفته "عنصرا ماديا محمولا فوق الصبغي". واعتمادا على هذا التعريف، ندعو :

- موقعا جينيا (Locus génique) : المكان الذي يحتله جين معين فوق صبغي معين.

- مسافة وراثية (Distance génétique) : المسافة الفاصلة بين جينين اثنين فوق صبغي معين.

انطلاقا من هذه المفاهيم، يعتمد انجاز الخرائط الجينية على المبدأ البسيط الذي نلخصه بالشكل التالي :

"كلما كانت المسافة الوراثية الفاصلة بين جينين اثنين مرتفعة، زاد احتمال إعادة تركيبهما (Recombinaison) عند الإنقسام الاختزالي للخلية (Méiose)، مما يؤدي إلى الحصول على صفات ظاهرة معادة التركيب (phénotypes)".

لقد سمي مورغان ومعاونوه، وحدة المسافة الوراثية :

الستيمورغان (CentiMorgan).

(3) من خريطة مورغان الأولى ... إلى الرهان المولي.

بعد توصل مورغان ومعاونيه إلى انجاز أول خريطة جينية، وما تميزت به هذه الأخيرة من بساطة وبدائية (كما أسلفنا)، صار رهان العلماء هو كيفية تحسين الخرائط الجينية وتدقيقها وإثرائها.

ويعتمد ذلك بشكل مباشر على محاولة اكتشاف أكبر عدد ممكن من الطفرات (Mutations) الطبيعية، غير أن المشكل الأساسي الذي يعترض هذه المحاولات، هو ندرة (Rareté) الطفرات الطبيعية، حيث أن احتمالية (Probabilité) نشأة طفرة طبيعية في جين معين تعدّ في حدود

1 إلى عشرة ملايين $(\frac{1}{10^7})$.

لقد انتظرت الإنسانية أعمال العالم الأمريكي هرمان مولر (Hermann Muller)، حتى تجد إجابة عمليّة كفيلة بحل هذا الإشكال الذي بدا لسنوات عديدة حائلا دون تحسين الخرائط الجينية الموضوعة.

(4) هرمان مولر : سيرته وتكوينه الأكاديمي :

ولد هرمان مولر في مدينة نيويورك (New York City) سنة 1890، وتلقى تعليمه العالي بجامعة كولومبيا (Columbia) الأمريكية. وفي تلك الجامعة اجتذبه أبحاث توماس مورغان حول ذبابة الخلد دروسوفلا ميلا نوغستر، فأبدى بها اهتماما فائقا وانظم إلى فريق مورغان للأبحاث. وفي سنة 1925، تحصل مولر على رتبة "أستاذ جامعي" بجامعة أوستين (Austin) وبدأ رحلة من التدريس والأبحاث قادته في محطة أولى إلى

برلين (ألمانيا) في سنة 1932، ثم إلى لينينغراد (الاتحاد السوفياتي) في سنة 1934. وفي سنة 1937 تحول إلى أدنبرة (سكوتلندا) ليعود اثر ذلك مجدداً إلى وطنه الولايات المتحدة الأمريكية في سنة 1945، حيث اشتغل بجامعة إنديانا (Indiana) إلى حدود سنة 1964، قبل وفاته بثلاث سنوات.

وشكلت مختلف هذه المحطات علامات هامة، تابع من خلالها هرمان مولر اهتماماته بوراثه الخصال لدى ذبابة الخل دروسوفيللا ميلانوغستر، كامتداد لما كان قد بدأه مورغان في السابق.

5) اكتشاف هرمان مولر المثير يأتي بطريق الصدفة :

أثناء انشغاله بكيفية اكتشاف أكبر عدد ممكن من الطفرات لدى ذبابة الخل (كما من شأنه أن يؤدي إلى تحسين جودة الخرائط الجينية) توصل هرمان مولر إلى حقيقة تجريبية مفادها أن نسبة حدوث الطفرات (Taux de mutation) تزيد بضارب يساوي مائة مرة ($100\times$) وذلك عندما يتم تعريض الصبغيات إلى الإشعاع بواسطة الأشعة السينية (Irradiation par les rayons X). وتجدد الملاحظة في هذا السياق أن ظهور مثل هذه الطفرات المحدثه اصطناعيا، يتم بصفة عشوائية (arbitraire) أي غير موجهة (Non dirigée) نحو جين أو جينات معينة.

6) أهمية اكتشاف الإحداث الاصطناعي للطفرات والأفاق المنبثقة عنه :

يعدّ اكتشاف هرمان مولر، الإحداث الاصطناعي للطفرات بواسطة الأشعة السينية، ذا أهمية بالغة، ذلك أنه يمكن تعميم مبدأ هذا الاكتشاف ليشمل مختلف الأجناس الحية سواء انتمت إلى الحشرات

(كما هو شأن دروسوفيل ميلانوغستر) أو إلى غيرها من الفصائل. ومن أبرز تطبيقات هذا الاكتشاف إمكانية رسم خرائط جينية عالية الدقة، عبر احتوائها على عدد مرتفع من الجينات، وصولاً في المستقبل إلى الخرائط النهائية المحتوية على العدد الكامل من الجينات لدى جنس معين.

وفي هذا الإطار توفى هرمان مولر في سنة 1929 إلى حصر تقريبي لعدد الجينات عند دروسوفيل ميلانوغستر مقترحاً عدداً يتراوح بين 1400 و 1800 جين. ومن الطريف، أننا نعلم اليوم أن عدد جينات ذبابة الخل هو في حدود 13.400 جين مما يعني أن اقتراح هرمان مولر في سنة 1929 كان أقل بعشر مرات من الواقع، ولكنه يبقى مع ذلك خطوة علمية رائعة.

7) هرمان مولر يدخل تاريخ العلم من بوابته الكبرى :

تميزت مسيرة هرمان مولر العلمية بثنائها الشديد إضافة إلى تقلبها بين جامعات وأقطار وأمصار عديدة. ولم ينس مولر في غضون رحلاته المتنوعة، إثراء خزينة علم الوراثة بمؤلفات هامة نخص بالذكر منها :

أ) آلية الوراثة المندلية (Mechanism of Mendelian Heredity) : كتاب صادر سنة 1915 من تأليف هرمان مولر بالاشتراك مع مورغان (Morgan)، ستورتنانت (Sturtevant) وبريدجز (Bridges).

ب) نظرة بيولوجي إلى المستقبل (A biologist's view of the future) : كتاب صادر سنة 1935 من تأليف هرمان مولر.

ج) ببليوغرافيا حول وراثة دروسوفيل (Bibliography on the Genetics of *Drosophila*): كتاب صادر سنة 1939 من تأليف هرمان مولر.

د) علم الوراثة، الطب والانسان (Genetics, Medicine and Man): كتاب صادر سنة 1947 من تأليف هرمان مولر، بالاشتراك مع ليتل (Little) وسيندر (Synder).

هـ) الإحداث الاصطناعي للطفرة الجينية (Artificial transmutation of the gene): مقال صادر بمجلة Science سنة 1927 تأليف هرمان مولر.

وتبقى اكبر انجازات مولر اكتشافه الإحداث الاصطناعي للطفرة الجينية، مما وسع أحلام العلماء نحو الكشف الكامل عن مختلف الجينات الحيوانية والنباتية.

لقد أهلت بمحمل أعمال العالم مولر، صاحبها للحصول على جائزة نوبل للفيزيولوجيا والطب وكان ذلك في سنة 1946، وهذا، يكون التلميذ مولر قد نسج على منوال أستاذه، العالم الكبير مورغان.

8) خاتمة :

مثل هرمان مولر حلقة وصل تاريخية بين الوراثة المنديلية والمورغانية (Génétique Mendélienne et Morganienne) من ناحية، وبين تيار جديد يدعى الوراثة الجزيئية (Génétique Moléculaire) ركّز من خلاله العلماء اهتمامهم على الطبيعة الكيميائية (Nature chimique) للجينات. وفي مقالنا القادم، نسلط الضوء على عالين مهمين، تعاونوا (بشكل منفصل) على تدشين حقبة الوراثة الجزيئية ؛ يدعى الأول فريد غريفيث (Fred Griffith) والثاني أوسفالد أفيري (Oswald Avery).

أدباء وكتاب من رابطة الأدب

الحديث بالقاهرة

- 2 -

بقلم : رشيد الذوادي

أما بقية إحقق أدباء الدرب في (الرابطة)، فهم على التوالي:

* الناقد الأديب وديع فلسطين : وهو كاتب (كيس)، ومناضل بحق، حيث تعامل مع الناس ومع اللغة العربية تعامل الرشداء الأوفياء، وهو أديب ذواق ومفكر كبير وقل من لا يعرفه من أدباء العرب، ويتميز بوفائه لأصدقائه.. ومن مؤلفاته: (قضايا الفكر)، و(إبراهيم ناجي)، و(مختارات من الشعر العربي المعاصر.. وكلام في الشعر) وهو خدوم للأدباء، ومثال للحدية وللمثابرة.

* وحسني سيد لبيب: وهو كاتب، وأديب كبير يعتز بالرواد وبالشخصيات الذين أثروا الحياة الفكرية، وتركوا بصمات في حركة التطور.. ويلتقي في أدبه (المشرق والمغرب العربي) على السواء، (15) وقصصه استمدتها من الواقع الشعبي، وأبطاله أناس طيبون إستهوقهم النهايات السعيدة.

* وجمعة محمد جمعة: وهو قصاص جيد، وروائي وناقد ومن مواليد القاهرة عام 1944م.

وجمعة محمد جمعة ذو خبرة واسعة في مجال التقنية القصصية، ويتميز مع سعيد سالم، ومحمد مستجاب، وحسني سيد لبيب، ومحمد جبريل، ويوسف القعيد بوفاته للبطولات العربية الخالدة وبجبه لأصدقائه من أدباء العرب، وكتابات القصصية والروائية تتميز بتمطيط الجوّ النفسي داخل التركيبة الفنية، وهو عاشق للأحياء الشعبية، لذلك لقبته بـ (أديب الفقراء!..) ونوهت بمزله الأدبية في كتابي: (أدباء من مصر) الصادر عام 1993م.

* ومحمد حجاج: وهو أديب كبير، وقصاص يغرف من الواقع الشعبي ومن ريف الصعيد على وجه الخصوص. ومما يميز محمد حجاج أنه مثقف واع، ويمتلك قناعات فكرية محددة، وأخلص لهذه القناعات كل الإخلاص..

وهو أديب ودود، وعرف بالتيارات والمذاهب الأدبية، وأسهم في حياته العامة في كل ماله صلة بالتحديد والابتكار، وكان باستمرار لا يحجم عن أية تضحية وطنية ولا ينافق في كلمة الحق. (16)

الخاتمة :

فهذه أيها الأدباء الأفاضل البعض من مكرمات (رابطة الأدب الحديث) وتلك هي نماذج من رموزها وفرسانها الشجعان. إن (الرابطة) هي مدرسة أدبية مستقلة بسطت ذراعها لكل كاتب ولكل ما فيه ذوق، وتأمل وجداني واستبطان ذاتي، ومضمون فكري، وكانت مقاييسها النقدية توجع لحركة التطوير والتفكير الحر، ولكل ما

ينير السبيل لإدراك ما تجود به قرائح الأفراد ولإظهار السمات الجمالية
لنظرية (الفن للحياة) (17).

الهوامش:

- 1- أنظر : (الأدب العربي ووجه العصر): للدكتور عبد العزيز شرف(دار الجيل)بيروت ط1
12931 ص 156 وما بعدها .
- 2- تاريخ الأدب العربي:حنا الفاخوري ط بيروت 1951 ص 974
- 3- المصدر نفسه ص 1019
- 4- انظر (مدارس النقد الأدبي الحديث) للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ط مصر 1995 ص
259.
- 5- انظر دراستنا عنه في كتابنا: (أدباء من مصر): النوادي ط (دار مذبولي) مصر 1994 ص 98
وما بعدها .
- 6- انظر كتاب (من مواكب الأيام) للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ط مصر 1994 ص 52 وما
بعدها.
- 7- المصدر نفسه ص 36 وما بعدها، وصحيفة (عكاظ) السعودية بتاريخ 1984/1/23م.
- 8- المصدر نفسه ص 12
- 9- توفي الدكتور عبد العزيز شرف في 31 ماي 2004
- 10- انظر كتاب (مع هؤلاء) محمد عبد العال ط مصر 1985
- 11- انظر مجلة الإتحاف دراسة لرشيد النوادي ع 148 ص 20 يونيو 2004 ص 37 وما بعدها
- 12- نفس المصدر: رشيد النوادي ص 39 وما بعدها
- 13- صدر كتاب (التجاهات القصة التونسية القصيرة) عام 2003
- 14- انظر (روائي من بحري) : حسني سيد لبيب ط مصر 2001 ص 9 وما بعدها.
- 15- أدباء من مصر: رشيد النوادي ط مصر 1993 ص 99 وما بعدها
- 16- انظر الملحق الأدبي لجريدة الحرية بتاريخ 2005/11/24 ص 9
- 17- هذه المداخلة ألقاها الكاتب التونسي رشيد النوادي برابطة الأدب الحديث بالقاهرة مساء يوم
20 ديسمبر 2005م.

لا درب تتبعه خطاي

شعر : الهادي العثماني

هذا وجهي ...

شاحب بين المرايا

ليس لي صبر على الأيام،

والأيام حزن، واحتراق



ARCHIVE ليس لي ما أشتهيه،

<http://Archivebeta.Sakipit.com>

غير أحلام تلاشت وامحت

والوج يهفو-

لا لقاء اليوم ...

لا أمل يؤث وحدثي ...

الصمت ذاكرة المواني

واختزال الموت،

ذاكرة البحار
إن وجهي شاحب،
والموت أدهى ...
هذه لغتي / وهذا الصدق ينحتني
شرّداً، أو شهيداً
والمدى نريد احتضار
وجهي يمضي / مثلما الأيام تمضي

... خاويًا
ARCHIVE
http://Archive.hrit.com والموت خاويًا

وانكساراتي هنا
درب الأسي،
ليل التبارج التي تغتالي
لا درب تتبعه خطاي
وليس لي ما يحتمي النسيان
غير مسرّتي

أو أمنيات الليل

يمحوها النهار

غلت يدي ...

وجهي خرائط من تفاصيل انهرامي،

أمر تدي ثوب انكساري

كي يعرّني قليلا

... في مواعيد الفراش

شرب المدي أهاتنا

ARCHIVE

<http://Archive.Sakhrit.com>

وأنا وأنت

يا أحبتي نشتك

تتوالد الآلام من آلامنا

لغة اعتذار

ظمئ المدي

لن أستقيل

ولن أعلق دهشتي

وسط المريا

لن ألمم ما تناثر من بقاياي التي

انتشرت ثامر

يا ...

كم تشبني المواسم

لن أرمم ما تلاشى من بقاي الصبر



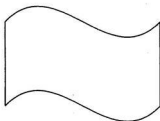
- بذوي -

إنعاء

ARCHIVE

http://rit.com ما أفسد الدهر بجالي

ليس ينفعه العقار



وداع

شعر : محبوب الطرابلسي

وداعاً للتي تمضي

وداعاً للتي تصل

ملاكاً كنتُ أعشقها

نرمان الوصل والصدّة

ومرؤدي كلّها احترقت

وجفّ الشوق في الكبد

وتباه الاسم في السجف

سأبقى ها هنا وحدي

أعذ أصابعي وأمرى

خيوط الروح تشتعلُ

وجمر العمر يتلفنُ

ولا أبكي كمن مرّ حلوا

أو امرئذوا وانهمزوا

أو اعتزمو وما وصلوا

خبر الكلام

شعر : محمد بن جماعة

قدم يا فتى،

الديك صاح ..

حان وقت السفر

ثبت حذاءك واشدد قميصك ..

مرتب خطاك ..

سير في الطريق وفي المساء

سير بين نهر المفردات .. بين أقواس المدى ..

واكسر الماء من ثغر لا يباح

*** **

قدم يا فتى،

لكأنا الشوق يسير قدما،

وكأنا الخطو يفتق حجب الكلام ..

يا أيها الشيء الذي قد تعرفه

أثقلت صدرا ونزلت برؤوس حانيه ..
 لا ترقب الودق .. خيالك ما طر،
 وارفع بكأسك .. فأنت بها ترشح ..
 والبحر فيض، يلمع سيفه .. يهوي كمرعد
 نزعني الطفل .. ارداه لحننا باكيا كالضحك
 لا يفقه المدرب ما الذي يصنعه ؟
 قدس يد مدمر، ما اردا لا يرحم ..
 لا يقدر .. دمره المخالب عنه ..
 انما الكل ذئاب وغالب و ..
 نام أبي ..
 وفي نومه العربي يفضحه /
 يتقلب في طيات أرض من جوف الثرى ..
 يتجول حيناً بين القصر والقصر ..
 هو لا يدخلها ..
 كان يخاف وكان فقيراً ..

وكان يحب ..

وكان يعانق مثلي أنا .. ويشرب ماء

بلا قطعة خبز ولا .. ثم ينام ..

أبي كان ومردا،

وكان ينزحجر في نفسه ..

وكان يسطر دربا ليمشي

ويركب الريح عند السحر

نام أبي ولم يتعش

مات أبي وعشت أنا أشعر بأبي ..

يتحاور الآن في غيبة .. ويقوى الجدل

- كيف الحياة؟ وكيف تسير الأمور بني؟

- كيف تعد الدقيق وخبز الكلام؟

- ومن أين تشرب؟ أمن أسفل الأرض؟

أمر من دوالي السماء .. غمام العنب؟

بني، كيف تسير وفي الجدول ماء لخب

دماء تشق الحدود / البياض البطون ..

وأنت تعانق مصطبة الركح ..

تلهث، تصافح أيادي الحروف ..

تصافحك جاكيرا ..

وتفتك، تهزم نفسك

بعض طغيانها .. يقطر لحنا عنيفا

ولا يستجيب الطرب

*** **

http://www.eta3.com بني بماذا تبلى وجهك الآن ؟

لماذا تشئت نزهرة بوح عجيب ؟

لماذا تسير بلا قافلة ؟

والطريق قصير ؟

*** **

نهضت وكنت بباب كبير

ترننه: نقوش / حروف وأطراف من

قبعن أمامي وخلفي ..
ويعلق حلمي بهذا القلم ..
فتهذي سطوري
وتمضي كأرجوحة مركبتها ظنوني الجديدة
وكفي قصد وحب
وأنت مرايا خشب ..
ويرقص هذا الصديق
بينما يجي الحلول ،
ويطفئ ثمرة جهد ..
وتستنفر أليافه الشاحبة
ويعطر نفسه وإبلا
من كلام المديح
أنا شاعر .. والقبيلة تعلم هذا الخبر
وها دفترتي يطفح اللفظ فيه :
فعولن فعولن
فعولن فعل

أحلى الأسماء

شعر : التليلى الشارف السحيمي

أحكي لكم يا أهل إمري

ما لم تروى فيها رواية

سماء بل إثنان تواعدنا

في وجه صاح

ما كانت مرعشتي

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

حيها إلا استباق لما هو

في قلب كنت له كاح

آية في خلقها

جعل الله لنا فيها معاينة

أسفار كتبت فيها

وتكتب تساج

سألت نفسي
يا ذوالثلاثة أوثاق
من وهن في القلب
كنت عليه متسامح
اليوم قبل الساعة
كانت له معاني متعالية

إنما كنت أو

كانت له متبادلة
ARCHIVE

<http://archive.org/details/Sa>

الآن أروي بقلب عشرة
لها القلب كاملا
ولحظة منها في
دهري ماذا تساوي
حين هوت برمشها
كانت سيوفا ملتسنة
نرادتني صغرا

فاحترت من أنا

غيبوبة دامت دهورا

في سماءها القطبية عندما

رفعت رأسها

ثم جبتها

ثم حاجبها فجفتها

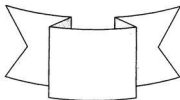
علت بروحي أعلى

فأعلى إلى الامتھی

حتى نسيت اسمي

واسمها في القلب

من أحلي الأسماء



أرق في ليلة موحشة

شعر : علي السعيد

نامي .. فقد ودّعت يا صديقتي الكرى

أحزان هذا الليل ..

أورقت في داخلي ..

ولم أعد أرى ..



ARCHIVE

شجرة تميل حيث الريح مالت
<http://ArchiveBeta.com>

وفي قرية غارقة في نومها ...

في جدبها ..

تنتظر العطاء .

وأنت في ثياب الذاكرة ..

أغنية ..

قد أوهمتني أن الماء

ينساب لحظة الجفاف

فكنت غيمة خاوية ..

ولت على أعقابها ..

وفي طياتها

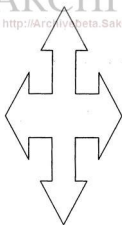
مرثية ..

لفرحي الذي يموت في العراء ..



ARCHIVE

<http://ArchiveBeta.Sakhrat.com>



شرق الدّمع تسابيح وفاء

شعر: محمد رشيد اليدوي

يا عراق

يا بلاد الجود... يا مرمر الفدا

أسمعينا المجد ينشد

مواويل ثناء



شرق الدّمع تسابيح وفاء

<http://Archnet.net/Saudi.net>

يا بلادي... يا عراق

ضحك الغرب علينا

بالعمالة

والأخوة تتعاون بالخيانة

فاستعانوا بعداء

كلنا في الاسم نعت

وشمالي... كيمي... في إباء

فرأينا من يتاجر
بدماني ودماك
فعدانا لفتح ثأر
وجرنا في مزالق
وهتفا للأجانب:
أدخل الأرض وحاصر
واضربوا الطود العنيد
إنه حقد وثأر
مات فينا كل شهر
طمع عيد في دثار
إننا عدنا عبيد!

واليهود

عند بوش لا يسامو بالذولا
إننا أقرام نسل
لا تفكر...

كالكبار... .

يا بلادي... . يا بلادي

قد ينسنا ما لبسنا ثوبَ عامرٍ

كيف أمشي وعيوني ذلَّ عبْدٍ

والفرنجي نر هو يتسبّد

يتغنّى بالتصاير!



ARCHIVE يا بلادي

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

تحت ثقل القيد ترعي... .

وسلاسل في رقاب... .

وجيوش بديار العرب تجري

في عتو واغتصاب

أي داء في المئانة!

أي عقل يستشار!

يا أمير الرأي فينا

تعب القول فرّدّد !

لم يعد للشعب باغ

فتوى العز وصاح

مات عهدي يا صلاح

يا عراق ...

أبشر... فالصبح قريب



ARCHIVE

للمروية، للأخوة

<http://Archivebya.Salhril.com>

يتحدثي... لا يساور

فاهتقوا

عاش ابني... وابنك

بأنّي العراق

طوده الشامخ

مرافعا للعرب مراية

هي للنصر

ذات صباح محترق ...

ذات ليلة غائمة

نص : مختار المومني

"كتب هذا بمناسبة فوز نجيب محفوظ بجائزة نوبل للأداب"

في ليلة غائمة

ذات ليلة غائمة ... ظل عامر وجدي وحيدا في غرفته المغلقة ...
الستائر مسدلة ... بعض أشيائه المهملة لم ترح مكانها ... حدث نفسه
متسائلا.

- أتراني أستطيع استعادة حديث الصباح والمساء ؟
كف فجأة عن التذكر ... خرج إلى شرفة منزله الكائن في ممرامر نظر إلى الليل
في أوج عتمته ... ظل محققا في الظلمة..

نظر في ساعته ثم تمتم

- الباقي من الزمن ساعة ويرحل الظلام.

أحس كأنه احترق الظلمة... أصابته رعدة هزت كل كيانه أغمض عينيه...
سرح بخياله... أخذته خياله إلى ليالي ألف ليلة وأفراح القبة.
أوغل انسياها في خيالاته.

رأى نفسه أمام العرش وقد شفي من همس الجنون بعد رحلة شاقة سحب فيها
ابن فطومة في حله وترحاله من أجل البحث عن الحقيقة... قاسمه زاده وأحلامه
وآلامه. تهرأت قدماء من الركض وراء سراب امرأة تقيم في أفق صحراوي محترق
الأطراف، وأصبح يحاول... فارغا مثل صفيحة.

حدث نفسه .

- ما أعجز الخطوات في هذا الطريق الصعب !

قالت له

- ما أحلى الحب فوق هضبة الهرم

قال لها

- دعينا من حديث الحب وحدثيني عن التنظيم السري والاستعداد
لكفاح طيبة .

قالت له

- حبك قدرتي ولا غالب إلا الحب

صاح فيها

- دعينا من الحب

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

قالت

- حين يمر الزمن أمام عينيك ثقيلًا كالسلحفاة تموت في أعماقك بذور
التحدي وتورق أشجار اليأس .

- أنا العائش في الحقيقة... رأيت فيما يرى النائم أن خلایانا قد ختمت
ببصمات الهراطقة المخدوين.

في صباح محترق

ذات صباح محترق وقف الشحاذ على قارعة الطريق يسترق السمع
إلى بيت سيء السمعة... كان يروح ويحيى مرتبكاً... وعند مدخل
قصر الشوق كان حضرة المحترم بقامته الرشيقه وكسوته الأنيقة يعيش
أعياد الحزن الأبيض.

في ركن شبه معتم ... في زقاق ما من أزقة مصر القديمة وقفت
رادوييس... كانت تحرق في المرايا... تمشط جدائلها في تبرج وتقهقه
في خيلاء... كانت مغرية كالثلج... شرسة كقطعنة سكين... مهمله
كزبد البحر... كانت جسدا يفكر يفكر، في جبل من الدسائس
والمكائد... غير بعيد منها.

وقف أحمد عبد الجواد... كان متعبا... منهوكا... رائحة القيء
والعفن تملأ كيانه... كان يتمتم لنفسه.

- أي جسد هذا ... إنه عالم بلا حدود... هذا الجسد الوهم...
هذا الجسد الخرافة يتسرب في دمي.

يتحول إلى ديب خافت في قلبي... آه لو كنت ملكا لي لأولت
الولائم ولأقمت الأفراح في القبة.

القاهرة الجديدة نعسانة في قلب الليل... يشاركها النيل نعاسها
الجنائزي... دوى فجأة طلق ناري وانتشرت رائحة الجريمة بسرعة
عجيبة ما بين القصرين.

وفر اللص والكلاب تطارده ... كانت السماء غائمة ... والشوارع
مقفرة... ركض اللص حتى انتهى إلى الكرنك... دخل خان الخليلي
... قال لصاحب الخان .

- أنا رجل متعب أريد غرفة لأريح أعصابي.
اقتاده صبي الخان إلى غرفة شبه مظلمة ثم عاد من حيث جاء... ألقى
اللص بجسمه المنهوك على سرير مهترئ. وأخذ إلى نوم فارغ...
فارغ.

رأى نفسه أنه في شهر العسل... يده في يد رادوبيس وهما يتجولان في دنيا الله الواسعة ... انتهى بهما المسير إلى النيل... جلسا تحت نخلة باسقة يتناحيان. سمعا ثرثرة فوق النيل.

وأفاق من تصوراته مذعورا... تعجب من عبث الأقدار به... فهاهو يجادل الشيطان والشيطان يعضه.

هرب بخياله إلى الحرافيش ... إلى السكرية ... تذكر الأيام الحلوة أيام شبابه عندما كان يجلس تحت المظلة مع رادوبيس يمارسان الحب تحت المطر.

عاد إلى واقعه ... تذكر جريمته ... هرب من نفسه ... نظر من نافذة الغرفة إلى سماء الخريف الداكنة... كانت أسراب السمان تهجر اعشاشها... هاجر نحو المدن الدافئة ... لعن السمان والخريف... تحامل على نفسه ... جيت في نفسه أمرا... أن يسلم نفسه إلى اقرب نقطة أمن.

عندما نزل إلى الشارع ... كان الكل يرددون.

- قتل الزعيم ... قتل الزعيم .

وسار في الطريق موزعا ما بين بداية ونهاية منتشيا بأصدقاء من سيرته الذاتية.

أحزان منسية قصص قصيرة جدا

ابراهيم درغوثي

1- كأس شاي أخضر بالنعناع :

أعرف أنك تحب الشاي الأخضر والخمرة والنساء .
تحب الشاي الأخضر بالنعناع . تشرب منه كل يوم ما يغرق بارحة
حرية .
وتحب البيرة . هات عشرة نقول للنادل ، لا اترضيك واحدة أمامك ولا
اثنان . تضع القوارير فوق الطاولة . تلمسها . تحنو عليها . ما أبردها ،
تقول لنفسك ولأصحابك . وتفرح كطفل اصطاد عصفوره الأول .
وتحب النساء .
تحب السمراوات ، عيون البقر .
ها أنا جئتك اليوم بكأس شاي أخضر بالنعناع . كأس سخن يتطاير
بخاره في الهواء .
وجئتك بالبيرة المثلجة . بيرة يقطر عرقها على الأرض .
ولم تقبل النساء المحيى معي .

كلهن خفن منك ورفضن المحيء عندك رغم أوراق المال التي أغريتهن بها .

ألم تر كيف صرت تخيف النساء يا صاحبي ؟

تخيفهن وكأنك غول من غيلان الخرافات .

تفو ... على هذه الدنيا العاهرة .

خذ الكأس .

خذ أشرب منه وحدك حتى الارتواء .

وخذ قوارير البيرة . خذها ولا تقبل ندما يشاركك الشرب .

عندما رأيت كفه مصورة على زجاج القوارير المثلج ، توقفت عن

الحديث .

رأيت يطل من بين القوارير ، فتركت له الكأس والبيرة .

وتركت قلبي فوق القبر .
<http://Archivebeta.Sakhr.com>

وذهبت ...

عندما وصلت قرب باب الجبانة ، رأيت جالسا فوق القبر يشرب البيرة

قلت والفرحة تهزني هذا : هي القيامة إذن .

وعدوت نحوه .

وجدت كأس البيرة ملأنا للنصف .

ورأيت أوراق النعناع الذابلة ترتعش وسط كأس الشاي .

2- دم أبي

- سقطت السلة من يد الطفل .
سقط قلب الطفل فوق الإسفلت .
سقطت السلة .
سلة بها قارورة خمر .
جرى السائل الأحمر فوق الإسفلت .
وقف الطفل لحظة مرعوباً ، ثم وقع على ركبتيه يجمع زجاج القارورة .
تكثفت فوق السائل رغوة بيضاء .
وقع عليها الذباب . بنى الطفل سداً من التراب جمع وراءه السائل
الأحمر .
وقع الطفل على زنديه .
<http://Archivebeta.Sakhril.com>
لتذكيركم - زندها نحيلان - نحيلان جدا .
وقع الطفل على زنديه يجمع زجاج القارورة .
يركبه فوق بعضه .
يحاول صنع قارورة جديدة . لم لا يحاول ... ؟
جرى دمه .
جرى دمه فوق الإسفلت .
بنى سداً آخر بكف يده اليمنى .
ثم اليسرى .
ثم اليمنى .

ثم اليسرى .

ثم الاثنتين .

قام الطفل على ركبتيه .

نادى :

اعطوني (لم يدر ماذا يطلب) . أجمع فيه دم أبي

ودمي ..

3- أمومة

في المساء ،

رأيتها ممددة على جنبها الأيسر ، ترضع جراءها .

عينها - لون العسل - مفتوحتان .

والجراء الخمسة ترضع الحليب من الضرع وتتناوش بالمخالب الصغيرة .

والكلبة نائمة على جنبها الأيسر .

كلبتنا التي لم تعرف اسما ، والتي تسبق كل يوم والذي إلى الحقل ، ولا

تعود إلا في المساء .

تنبح على الغريب .

وتفرح بالصديق .

وتسهر قدام زريبة الحيوانات .

شتاء السنة وصيفها .

في الصباح

رأيتها ممددة على جنبها الأيسر ترضع جراءها .
ورأيت كدسا من الذباب الأخضر يحوم حولها .
اقتربت منها .
ورفعت جروا .
سال الحليب من بين شدقيه ، وهر .
تركته يسقط ، فعاد إلى الثدي يمتص منه الحليب .
وعدت أرفعه ، فعاد الحليب يسيل من بين شدقيه ...
وطن الذباب الأخضر ،
وحط على الكلبة الميتة .



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

4- الققط تسرق الأرانب ليلا

أحس بخطاه خفيفة فوق السطح . وأرى ظله مستطيلا على الجدار
المقابل للبيت . أقوم إليه شاهرا في وجهه حجرا وسبابا وعينا يقظة ...
يستقبلني على حافة الجدار .
يموء مواء ، حادا ، متواصلا ...
يستفز انتباهي .
وبغادر المكان

(يقول سأعود عندما تنام) .

أرمي وراءه حجرا ، وأذهب أتفقد بيت الأرناب ...

... عندما أسمع الصرخة ، أقفز من فوق السرير ، وأندفع خارج البيت

حافي القدمين .

يطعني هواء الليل البارد طعنة واحدة .

وتطعني استغاثة الأرناب طعتين .

وأرى ظل القط مستطيلا على جدار الجيران .

يقف لحظة والأرناب يتخبط بين فكاهة ، وصياحه الحزين يفتت قلبي .

يقطعه تقطيع السكاكين .

ينظر القط نحوي واثقا وكأنه يقول :

(ألم أخبرك بأنني سأعود عندما تنام ... أيها المغفل) .

وأعود إلى البيت <http://Archivebeta.Sakhrit.com>

أشعل النار في الفانوس المعلق في السقف .

وأفتح النافذة

وأشحن سكيننا على حافة الشباك .

وأطعن جرحي المندمل بالسكين .

وأكتب بالدم على حافة الجرح :

القط تسرق الأرناب ليلا

أليس كذلك ؟؟